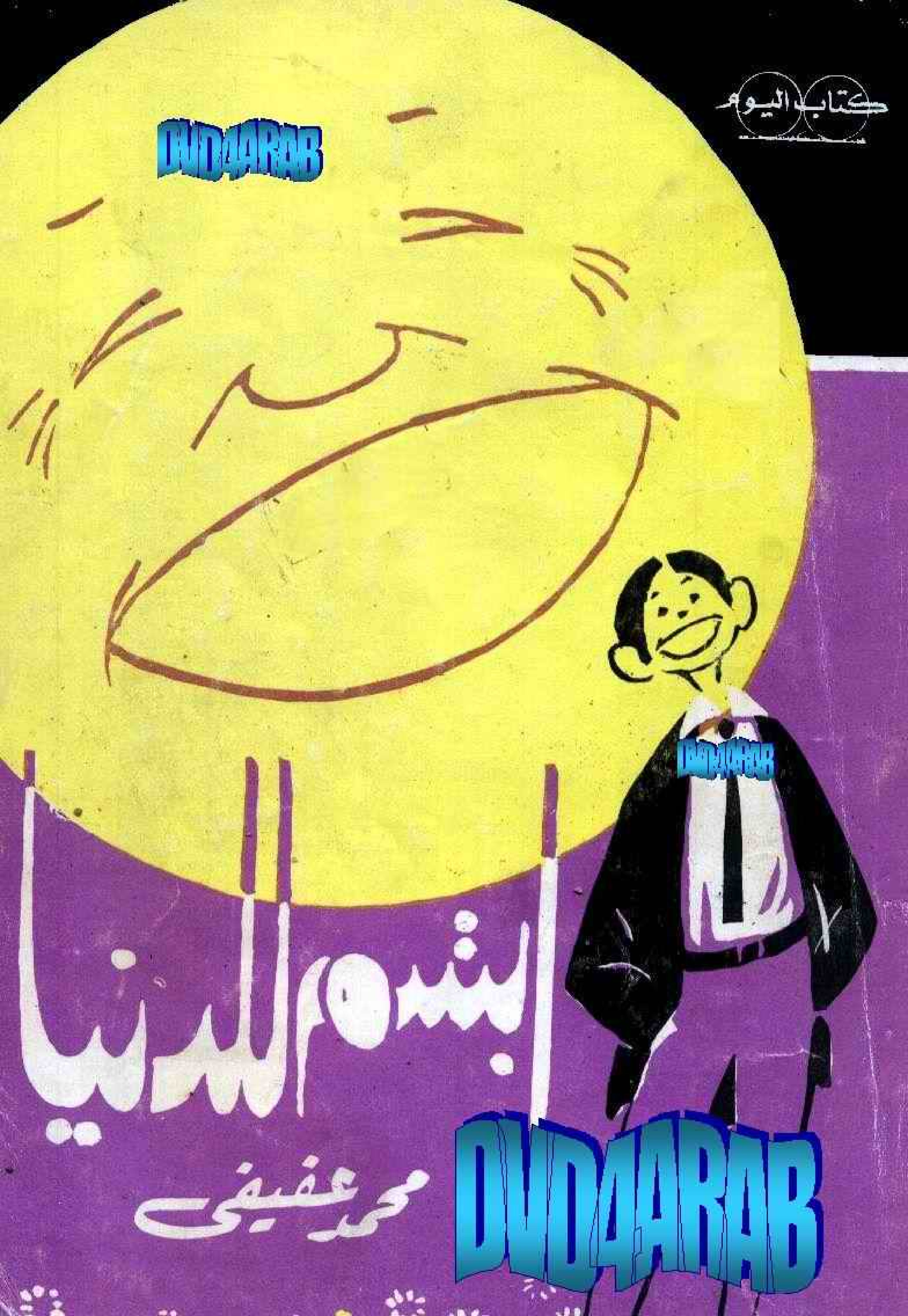


كتاب اليوم
ابتسم للدنيا
محمد عفيفي

كتاب اليوم
ثقافة اليوم وكل يوم

إبتسم للدنيا

بقلم محمد عفيفى

● العدد ١٢٩ سبتمبر ١٩٧٧ ●

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة

روستو و نيكوتين



الغلاف
بريشة
الفنان حسين بيكار

- لست احتاج الى مدة طويلة لكى يعشى جسمى كله بالهباب ، بحيث انك لو قلبتنى لوجدتنى من الداخل عبدا أسود .

تصادف

بالأمس ان كان لسانى متدليا من فمى وأنا أمر أمام المرآة ، فأصارحك القول باننى ما كدت أراه حتى رثيت لنفسى رثاء شديدا دفعنى الى أن أطاليك بمشاركتى اياه – الرثاء طبعا لا لسانى .

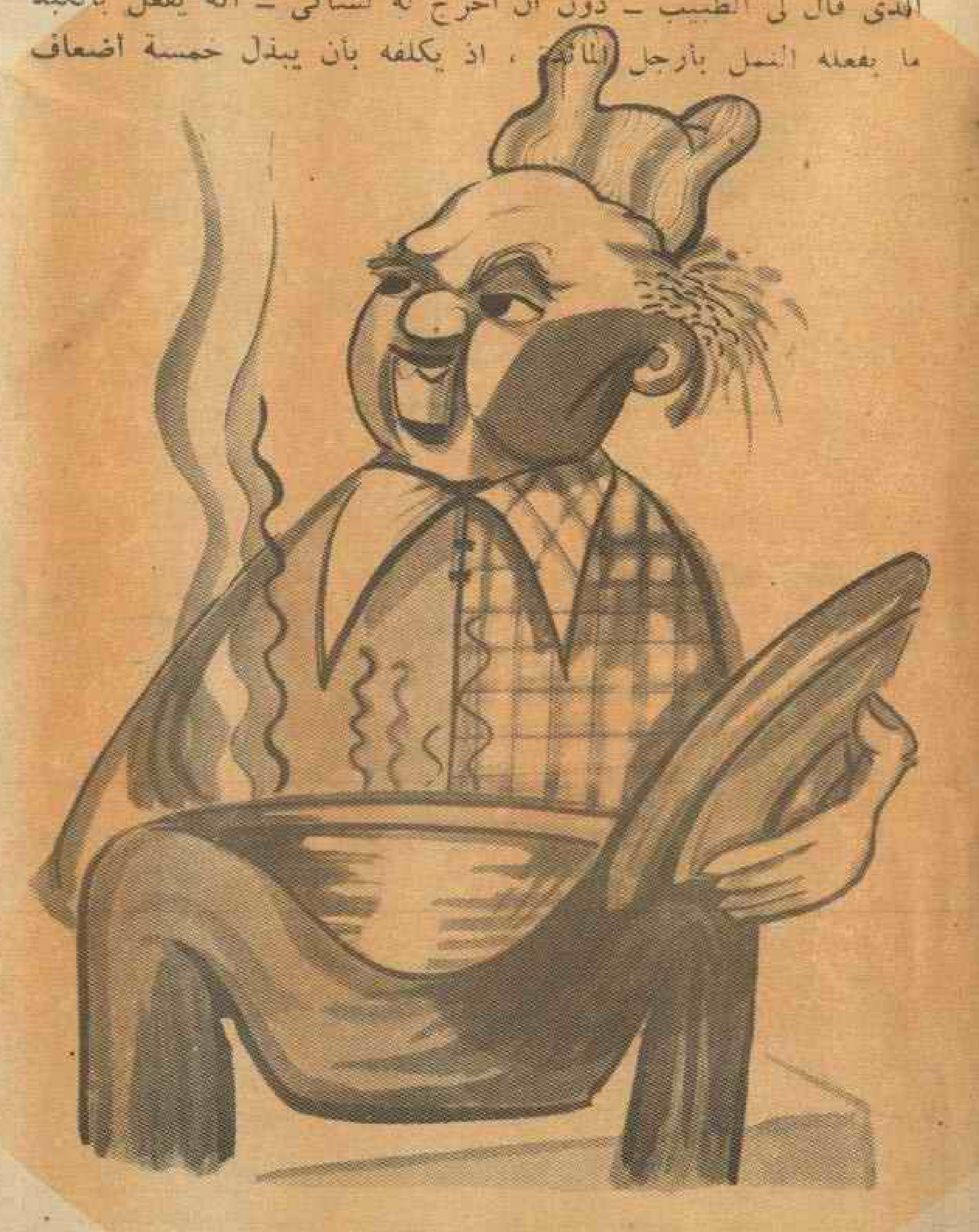
الاصل فى اللسان كما أعرف أن يكون من حيث اللون ضاربا الى اللون البمبى أو الوردى ، ولذلك يطلب منى الطبيب أن أخرج لسانى ، تلك العملية التى تثير عندى لذة نفسية بسبب ما فيها من الاستخفاف المقنع بالدكتور ، كما تتيح له فرصة التعرف على نوع صحتى من لون لسانى توطئة لكتابة الدواء . حقا أنه فى الغالب يكتب الدواء الغلط، ولكن هذا لا ينفى أنه قد اكتشف من لون لسانى أننى –أن شاء الله العدو – مريض وفى حاجة الى الدواء .

المهم أننى ما كدت أرى لسانى حتى أدركت بدون دكتور أننى مريض ، أو أنه هو – لسانى – المريض على الاقل ، اذا رأيته ضاربا الى اللون البيج الغامق ، تتخلله خطوط بعضها أبيض وبعضها أصفر ، وبين تلك الخطوط مساحات بنية اللون بعضها ضارب الى السواد ، كأننى لا أنظر الى لسان وانما الى لوحة من الفن التشكيلى رسمها فنان متشائم ليعبر بها عن نقمة الوجود .

أننى – اذن – مريض ، وبما أننى لا أشعر بأية أعراض مرضية كارتفاع فى الحرارة أو وجع فى البطن أو دوار أو اى شىء ، فلابد أنه مرض خبيث مستتر فى ثنايا خلاياى ، يستجمع قوته شيئا فشيئا وينتظر – الفرصة المناسبة لكى يضرب ضربته القاضية التى

تطيح بى ، تماما كالمائدة التى يأكل النمل أرجلها من الداخل وهى واقفة ، بحيث لا يلزمها الا دفعة بسيطة لكى تتهاوى على الارض كتلة من ذرات الخشب .

نعم – قلت لنفسى – أننى أنتحر انتحارا بطيئا ، بأرطال السمن البلدى التى تتسرب الى جوفى مع الطعام المتواصل ، ذلك السمن الذى قال لى الطبيب – دون أن أخرج له لسانى – أنه يفعل بالكبد ما يفعله النمل بأرجل المائدة ، اذ يكلفه بأن يبذل خمسة اضعاف



الجهد الذى كان يبذله لو أكلت الطعام بغير سمن ، أى أننى فى سبيل لذة المضغ أقتل نفسى ببطء ، بالسمن والتقلية والتوابل والخيار المخلل ، دعك من الدهن الذى يحيط باللحم الضانى خصوصا عندما يكون روستو .

ويبدو أننى أخاف من أن يعجز الطعام وحده عن قتلى فى الوقت المناسب ، ولذلك أعينه بالنيكوتين والقطران (لاحظ المساحات السوداء فى لسانى) – هاتين المادتين اللتين تفعلان برئتى ما يفعله هباب بوابير الجاز بسقف المطبخ ، ذلك الهباب الذى يتكاثر فى الشعب حتى يملأها ويسدها وليس من فرشـــاة تصل اليها لكى تسلكها ، دعك من أنه – الهباب – يتسرب الى الدم عن طـــريق الاوكسيجين ، كما أنه يتسرب الى المعدة عن طريق اللسان ، بحيث لا أحتاج الى أكثر من سنوات قليلة لكى يحشى جسمى كله بالهباب ، وبحيث انك لو قبلتنى لوجدتنى من الداخل عبدا أسود .

فلماذا أفعل هذا بنفسى ؟ – لماذا – باقول لك لماذا – أريد أن أقتل نفسى ، هه ؟ لماذا لا آكل الخضار نيئا أو مسلوقا ، واللحم مشويا لا روستو ، وأقلع عن التدخين لكى أعيش مائة عام ؟؟

الجواب على هذا السؤال قديم ومبتذل ، ولكن يظهر أنه ليس من جواب سواه : ما فائدة الحياة مائة عام من الحرمان المستمر ؟ ما فائدة مائة عام بغير النيكوتين والروستو وما قد يضاف اليهما – حسب بعض الامزجة – من السمرتو ؟

أنه جواب غير منطقى ولكنه مقنع ، مقنع لى على الاقل ، اذ أنه لو كانت المسألة مسألة روستو فقط لهان الامر ، ولكن أين الكبد والكلاوى الغارقة فى السمن السميك بسبب ما ســاح فيه من الحلويات؟؟ أين الحمام المحشى بالارز المشبع بالبصل والفلفل ، والذى تضغط عليه – الحمام – بيدك فيسيل السمن منه ويلوث مفرش المائدة ؟ أين صحن البامية الخضراء الذى تعلوه طبقة من السمن كأنه بحيرة صافية ، وكأن قرون البامية تحته أسماك راقدة

فى انتظار من يصيدها ؟ بل أين صحن العدس المزين برسوم التقلية ومعه بصلة حامية تسيل لها الدموع ، أو صحن شوربة العدس الذى تلقى فيه بلقمة العيش المحمر وتستمتع – قبل أن تلتقطها – بمنظر تلك الدوائر التى تنتشر على سطحه ساعة القائك اللقمة سالفة الذكر ؟

فاذا انتهيت من الغداء فكيف تريد منى أن أنام دون أن أدخن سيجارة أو اثنتين ، واملأ جسمى بالنيكوتين الذى يحقق التوازن بينه وبين الطعام ؟ أم تراك تريد أن تحرمنى من النوم بعد الغداء أيضا ، مخافة أن تتعطل عملية الهضم ؟

اذا كان هـذا ما تفكر فيه فاسـمح لى بان أقـول لك هم ..
(كل أنت خضارك المسلوق وبطاطسك البوريه ، واجلس ساعة بعد الغداء لكى تهضمه بدون أن تحبسه بسيجارة ، ودعنى أنا غارقا فى بحيرة باميتى الخضراء أتصيد قرونها لاهيا عن الزمن ، على نغمة خيارة مخللة أقرشها وبصلة حامية أدشها ، بأصابع بنية اللون من آثار النيكوتين والقطران . فاذا مت قبلك فأنت لاحق بى لا محالة ، اذ تقول روحك لروحى – بعد فوات الاوان طبعا – ليتنى أكلت وشربت ودخنت يوم كانت لى معـدة يوجعهـا الرستو ورئة يهببها النيكوتين !

صورة المستقبل

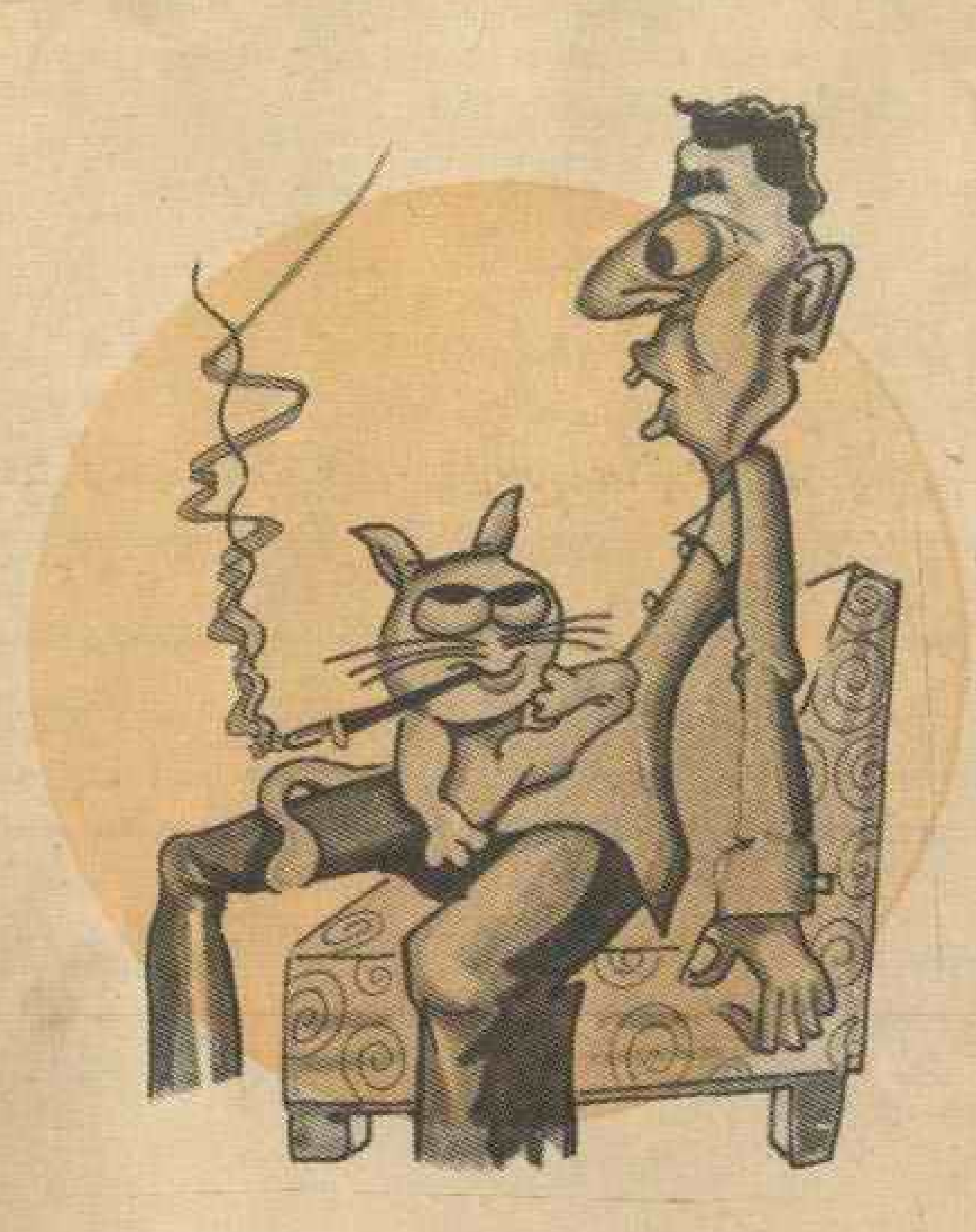
اصنع مزيجا من اللون الابيض والاحمر والاصـفر والاسـود ثم اسكبه على اللوحة كيفما اتفق تجد امامك صورة لمستقبل الجنس البشرى !



سن الحكمة :

يسالونك عن سن الحكمة ، قل هى تلك السن التى يدرك فيهـا الرجل انه لم يكن حكيما بقدر ما يظن !

حالة قططية



((انا لا اجلس لكى استريح من الوقوف وانما لانه - قطى الاصفر - لا يستطيع ان يجلس عل حجرى وانا واقف)) .



النـاس يقولون أنه مشمشى اللون - قطى الكبير الجميل الاصفر - ولكننى أفضل القول بأنه أصفر اللون ، لاننا اذا كنا سنراعى الدقـة التـامة فى وصف الوان القطط لقلنا : ان هذا القط أخضر وهذا زيتى وهـذا فزدقى ، وذلك برتقالى وذلك مشمشى وذلك بيج ، الى آخر الظـلال الخفيفة الفاصلة بين مختلف الالوان المتشـابهة ، وليس هذا على أى حال هو المهم .

المهم أنه - بصرف النظر عن لونه - - يحبنى الى درجة جنونية لا أسـتغربها بالنظـر الى كميـة الطعام الذى أقدمه له ، تلك العاطفة التى تطغى عليه فى بعض الاحيان حتى يكاد ينطق ، كمـا يحدث كل يوم فى الصباح الباكر حين يرانى خارجا من حجرة النوم بعد فراق دام سبع ساعات كاملة ، اذ ينهض من رقدته وراء الباب وهو يتمطع ويقول لى :

- ناو ..

كلمة صغيرة الا أنها حافلة بمعانى الحب والاحترام أفهم منهآ أنه يريد أن يقول :

- صباح الخير يا بيه ..

ولذلك أجيبه من فورى - باسما أيضا :

- صباح الخير يا سمسم (أسمه كده) .

وعند ذلك يقترب منى ليتمسح فى ساقى قائلا :

- نيـاو ..

ثم :

ـ نـــواو ٠٠

ثم :

ـ ووواو ٠٠

ثم :

ـ هـواو ٠٠

كلمات مختلفة الحروف كما ترى لكى تجارى اختلاف معانيها ، الامر الذى أفهم منه أنه يريد أن يكلمنى ، راجيا لى أن أكون قد



نمت نوما طيبا ، وسائلا أياى بماذا سأفطر هذا الصباح ومتى ، وما الى ذلك من الدردشة القططية البريئة التى أجيبه عليها أجابات مناسبة ، بصوت منخفض طبعا لكيلا يسمعه من حولى من النـاس الذين لا يفهمون لغة القطط ٠

الى هنا وأنا راض عنه مبسوط منه مطمئن عليه ، تلك المشاعر التى تفارقنى عندما يبدأ هو فى التعبير عن عاطفته نحوى بطريقته الثانية التى لا أستطيع أقناع نفسى بأنها طريقة طبيعية ، وأعنى بها رغبته الملحة المجنونة فى أن يجلس على حجرى ٠

نعم ـ ستقول لى ـ أن كل القطط تحب أن تجلس على الحجر ، ولكننى أقول لك لأ ، موش للدرجة دى ٠ فهذا القط لا يريد أن يجلس على حجرى ، بل أنه يريد أن يقيم على حجرى أقامة مستمرة دائمة ، الارض بالنسبة له هى حجرة المائدة التى لا يقصد اليهـا الا اذا أراد أن يأكل ، فاذا انتهى من الاكل ومن لعق يديه عاد الى حجرة الجلوس التى هى حجرى ٠

عندما خلقنى الله ـ هكذا يعتقد ـ لم تكن له من خلقى الا غاية واحدة مفردة ، وهى أن يجعل له من حجرى مستقرا ومقاما ٠ فانا بالنسبة له لا أجلس لكى أستريح من الوقوف ، وانما لأنه هو ـ القط الاصفر ـ لا يمكنه أن يجلس على حجرى وأنا واقف ٠ ولذلك ماأكاد أستقر على مقعد ـ بمجرد ملامستى لذلك المقعد ـ حتى أنظر الى حجرى فأجد أن المذكور قد أستقر هناك ، الامر الذى أفهم منه سر عوائه خلال الدقائق الماضية :

أنه كان يحتج على حالة كونى واقفا ، تلك الحالة التى أبسط ما يقال فيها أنها مخالفة لغاية الله من خلقى ٠

وليس مهما بالنسبة له ـ مادمت جالسا ـ نوع العمل الذى أقوم به ، ولذلك يحدث كثيرا أن أكون عاكفا على قراءة الجرنال فأفاجأ بقط كبير أصـــفر يتمشى بين المانشـيتات ، متململا فى استياء من فساد ذوقى الذى جعلنى أفرش له سريره بملاءة من ورق الصحف ٠

والواقع – اذا شئت الصراحة – أننى أنا المسئول عن هذه الحالة المرضية التى وصل القط اليها ، اذ شجعته على هذه العادة عندما كان غضا غريرا ، فلما كبر وشاخ لم ينجح فى التخلص منها، كالطفل الذى يكبر ويتعلم المشى والكلام والخناق وفى فمه (تيتينا) • أو كالزوجة التى يعلمها زوجها شرب السجاير ثم يجلس نادما متحسرا وهو يرى فلوسه تطير من فمها فى شكل دخان السجائر •

ولكن لكل شىء حدا ، والرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل تلك الحكمة التى جعلتنى أغير [illegible] معه فى العهد الاخير ، اذ يقفز الى حجرى فى الساعة التى لا أريده فيها فأمسكه وألقيه على الارض ، فيصعد ثانيا فالقيه ثانيا ، فيصعد ثالثا فالقيه ثالثا ، ورابعا فرابعا وخامسا فخامسا ،حتى يخيل الى أن الذى فى يدى (بوبو) لا قط أصفر ، وهكذا حتى يغلب فى آخر الامر فيقف بالقرب منى وهو يزغر لى ويعوى عواء منكرا كأنه يقول :

– أيه هو ده ؟ أنا عاوز أقعد على حجرك ، آه باقول لك عاوز أقعد على حجرك ، ترمينى يعنى أيه من حجرك ؟ أنا عاوز أقعد على حجرك ، آه أنا مالى أنا عاوز أقعد على حجرك •

ولما كنت لا أحب هذا النوع من اللماضة فاننى أشخط فيه حتى يسكت وأتشاغل بشىء ما لكى أنساه • ولكنه لا ينسانى ، بل يجلس بالقرب منى متربصا بفرصته ، اذ أنتبه بعد حين على قط أصفر يزحف أمامى كالثعبان وقد التصق بطنه بالارض ، متجها نحو مقعدى بخطوات متلصصة لكيلا أسمع وقع أقدامه ، متحاشيا أن تلتقى عيناه بعينى كيلا أراه ، واذا به يرفع يده اليمنى فى حذر ليضعها على الجزء البارز من المقعد بين ساقى ، ثم ينقل يده الثانية فيضعها بجانب الاولى بنفس الحذر ، توطئة أن يقفز برشاقة يحسد عليها الى حجرى • وعليه – حجرى – يسير ببطء شديد كأنه صورة سينمائية بالعرض البطىء ، ويستدير ويتكور ويلائم بين

جسمه وجسمى ، متوهما – ذلك الغبى – أننى لم أشعر بالثلاثة كيلوجرامات التى استقرت على حجرى لمجرد أنها استقرت هناك ببطء •

لذلك أتركه دائما يتم هذه العملية السافلة حتى يهدأ ويظن أن الامر قد انتهى ، ثم أفاجئه بضربة متوسطة القوة على ظهره ترسله الى الارض وهو يعوى عواء أفهم منه أنه يقول :

– دى عيشة ايه دى يا عالم ؟ دنا أشوف لى بيت تانى أقعد فيه ، آه والله أنا أشوف لى بيت تانى ، دى حاجة تقرف ، آه ••

ولذلك ابتدع ذلك اللعين طريقة أخرى لاحتلال حجرى وهى طريقة الانقضاض المفاجىء ، اذ يجلس أمامى وأنا منهمك فى الحديث ، فينتهز فرصة وصولى الى لحظة الانهماك التام ويقفز فى سرعة البرق الى حجرى ويستقر هناك ، بحيث يحدث لى كثيرا أن أفاجأ بأنه قد مرت على خمس دقائق كاملة وأنا أحسس عليه دون أن أدرى •

وبانتهاء كلامى عن هذا القط أرجو أن تكون قد استنتجت أنه ليس مجرد كلام ، وانما حكاية ذات مغزى لا يستهان به ، ذلك المغزى الذى عبر عنه العرب عندما أطلقوا المثل الشهير (زر غبا ، تزدد حبا) أى أن ميلك لشخص ما يجب ألا يستبد بك حتى يجعلك ترمى جتتك عليه ، لانه مهما كان يبادلك الحب فلابد أن يأتى عليه وقت يضيق بك فيه ويزهق من خلقتك فيرفعك بين يديه ويلقى بك على الارض اذا كنت جالسا على حجره ، حتى – صدقنى – لو تصادف أن كنت سيدة لا رجلا •

السيدة الركيكة

اتانى صوتها فى التليفون – احدى المتكلمات – خاليا تماما من حروف الصاد والضاد والطاء ، كلها ذابت فى لعابها وتحولت الى سين ودال وتاء • ونظرا لنفورى الشديد من منظر الدما ، فاننى احمد الله على ان تلك الكائنة لا تعيش معى تحت سكف واحد !

البوليس وأنا



« نوع التهمة : احمراز سسيارة فورد ، ونبيتى كمان .. »

لست أدرى ما السبب فى أن أعصابى تختل دائما عندما يحدث لى أى اتصال بالجهات البوليسية ، مهما كان نوع ذلك الاتصال .

خذ مثلا حكاية تجديدى لرخصة القيادة ، وكيف ذهبت الى القسم لاستخراج شهادة مخالفات ، تلك الشهادة التى لا يمكن أن يحتاج استخراجها الى أكثر من كلمات معدودات تدور بين الشخص العادى وعسكرى البوليس :

ـ تسمح تدينى شهادة مخالفات ؟

ـ اتفضل .

ـ متشكر .

ـ العفو .

ويخرج الشخص العادى بالشهادة متجها بها فى هدوء الى ادارة المرور ، ولكن هل قال لك أحد أننى شخص عادى ؟

اذا اتجهت الى القسم بقلب شديد الخفقان ، وأنفاس متداركة ، ووجه شاحب لابد أنه أوحى الى من رآنى بأننى داخل لاسلم نفسى فى جريمة قتل بعد شهور من تعذيب الضمير (... عقلى يقول لى أن استخراج شهادة المخالفات أمر بسيط جدا لا يمكن أن يزيد عن شكة الابرة ، وقلبى يقول لى :

ـ وقعتك زى بعضها .. أحلق شنبى ان طلعت من القسم ثانى !

وهكذا قطعت حوش القسم ، وصعدت على السلالم الى الطابق الثانى ، قلبى المرتعد فى كيانى المهزوز يتخيل المناقشة التالية تدور بينى وبين العسكرى الرهيب ، اذ أقول له :

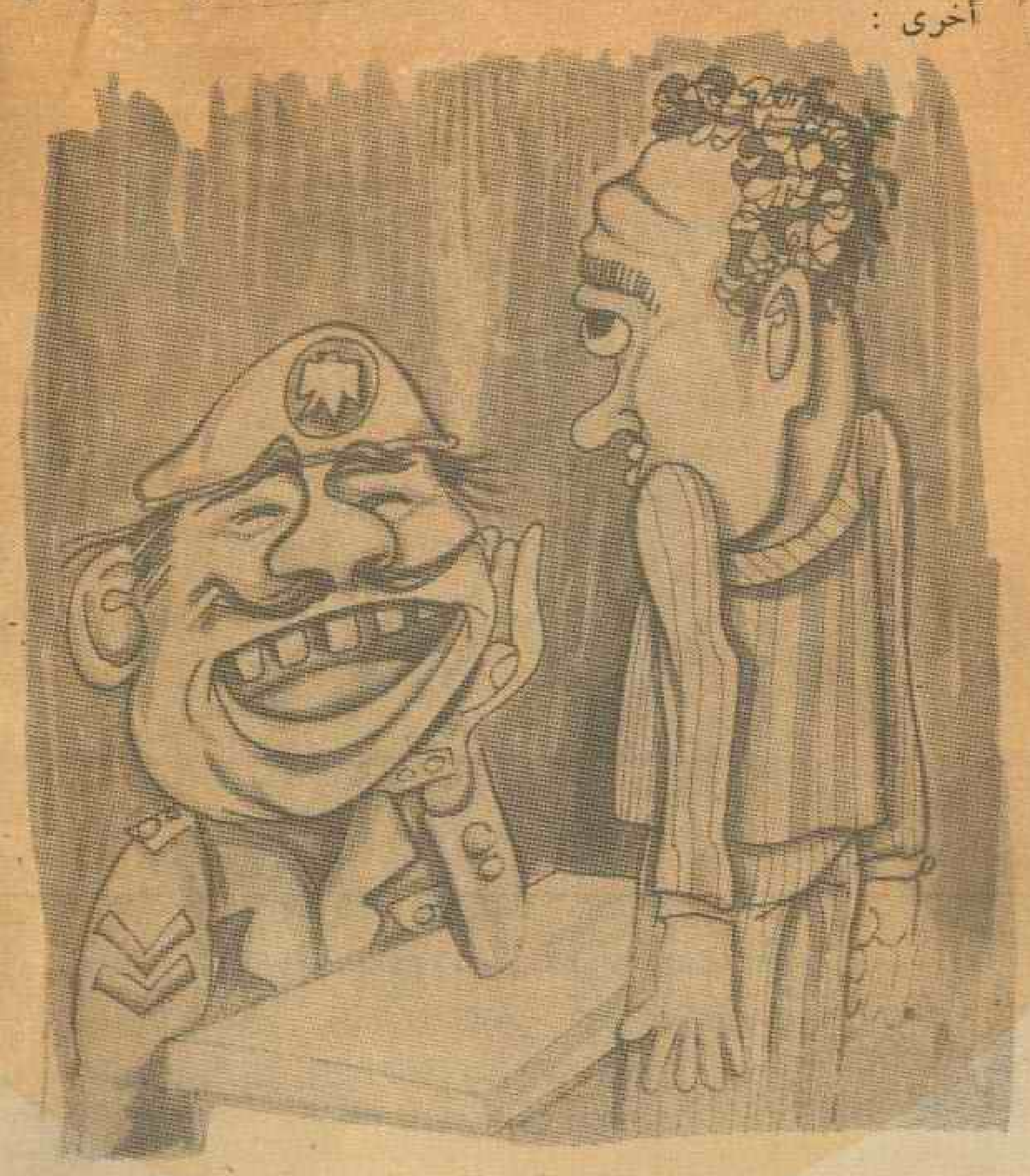
- أنا .. قصدى يعنى .. ممكن تدينى شهادة مخالفات ؟

فينظر الى العسكرى نحوا من عشر دقائق وهو صامت كأنه يستوعب ذلك النبأ الخطير الذى سمعه منى ، بارما شنباته فى تأمل بوليسى رهيب ، توطئة لان يقول ببطء واستيثاق :

- بتقول ... انك عاوز .. شهادة مخالفات ؟

- أ ... أ ... أ ... أيوه !

فيسترسل العسكرى وهو ينتقل بعملية البرم من فردة شنب الى أخرى :



- أفهم من كده .. أن سيادتك (لاحظ رنة السخرية فى هذه الكلمة) عندك عربية ؟

- أ ... أ ... أ ... أيوه !

- والعربية دى ماركتها ايه ؟

- ف ... ف ... ف ... فورد !

- ولونها ايه ؟

- نب ... نب ... نب ... نبيتى !

فيتوتر العسكرى على كرسـيه مدة عشر دقائق أخرى ، ثم يضطجع فجأة ويسترخى ، ويبدأ فى الضحك ، ضحكات متقطعة أول الامر ، ثم قهقهة عنيفة عاليـة وهو يضرب على مكتبه بيده المنتشية - مما سمع - مطيرا عشرات الاستمارات والارانيك .

وأخيرا يصيح وهو يغالب الضحك :

- يا حسين ! حسين ! تعالى اسمع الحكاية دى !!

ويأتى المدعو حسين فاذا به عسكرى آخر أضخم جثة وأطول شنبا ، ليسأل الاول قائلا :

- ايه الحكاية ؟

فيجيبه الاول وهو يخرج من فمه فردة شنبه التى دخلت فيه من شدة الضحك :

- الاستاذ ده ..

- أيوه ؟

- عنده عربية !

- عربية ؟!! ..

- أيوه .. فورد ..

- فورد ؟!!

- آه ... ونبيتى كمان !!!

فيسكت العسكرى الثانى نحوا من عشر دقائق خاصة به ، ثم ينكفىء بوجهه على حائط القسم وهو يقهقه كصاحبه ، ضـاربا بقبضته من شدة الضحك على الحائط ، متسببا بذلك فى سقوط

نصف دستة من الكلبشات المعلقة هناك . وأخيرا يأتى دوره لان يصيح قائلا :

– يا ابراهيم ! ابراهيم ! تعالى اسمع الحكاية دى !

فيأتى ابراهيم ، توطئة لان يدعو سليمان ، وسليمان يدعو بسطويسى ، وهكذا حتى أجد نفسى وسط دستة من العساكر العمالقة الذين يقفون حولى فى شكل دائرة بوليسية محكمة ، واضعين أيديهم على قلوبهم من شدة الضحك ، ثم يسكتون فجأة ليشيروا الى بأصابع الاتهام ، صارخين فى بصوت له دوى يتجاوز دائرة اختصاص القسم :

– خطوة فى التخشيبة !

وفى التخشيبة يضعوننى ، ويغلقون الباب على بالقفل والمفتاح ، بعد أن يلصقوا على ظهرى ورقة تحدد نوع تهمتى وهى أنها :

« تهمة احراز سيارة فورد ، ونبيتى كمان ! »

ايتيكيت

الذين يلومون البسطاء على عدم تناول الطعام بالشوكة والسكين ، ينسون دائما ان الكشرى لا يؤكل الا بالملعقة !

★ ★ ★

وأخيرا

شكرا للقارىء الذى كتب الى يسألنى ماذا ادخرت لمستقبل ، اذ ذكرنى ان الوقت قد حان فعلا لكى اشرع فى ادخار مصاريف الجنازة .

★ ★ ★

الابتسامة القاتلة

على وجهها حيث وقفت على محطة الاتوبيس شبح ابتسامة غامضة مثل ابتسامة الجيوكوندا ، فيها مزيج من المكر والسخرية والتحدى .. وناظرا الى بطنها المنتفخ امكننى ان افهم معنى تلك الابتسامة وكنت اسمع السيدة تقول :

– نعم انا ادمر الاقتصاد المصرى .. حد له عندى حاجة ؟!

كيف تخدع المرأة



« ان شعرها قد يكون مثل الكنافة او الاسباجيتي ، ولكن هذا لايهم بالمرة » ٠



أنا ـ بالطبع ـ الذى سأقدم اليك الارشادات التالية بصدد خداع المرأة ، اذ أن المرأة الوحيدة التى نجحت فى خداعها فى حياتى هى والدتى ، عندما كنت أوهمها بأننى قد غسلت وجهى فى حين أننى لم أغسله ٠ انما هى ارشادات أسوقها لك نقلا عن صديق لى من المتخصصين فى هذا الفن ، اذ قال :

ـ عاوز تخدع المرأة قدامك ثلاث طرق ٠

ايه هم ـ سألته ـ فقال :

ـ امدحها ، وامدحها ، وامدحها !

فتريثت حينا لكى أستوعب كلامه ثم قلت مستوثقا :

ـ أمدحها ؟

ـ أيوه ، وتمدحها وتمدحها !

وأنشأ يضرب لى الامثال التى أبادر الى عرضها عليك ، كيف تجد نفسك جالسا الى المرأة التى تريد أن تخدعها فتروح تنظر الى شعرها نحوا من خمس دقائق وأنت ترسم على وجهك معنى من الاعجاب الممزوج بالحيرة ، وذلك توطئة لان تقول لها فى تردد :

ـ قولى لى بصراحة يا سوسو ٠٠ انتى لابسة باروكة ؟

وترقب فى غير اكتراث حمرة الغيظ التى تعلو وجهها وهى تقول لك فى غضب :

ولفورك تقول لها مستدركا :

ـ ليه ٠٠ حد قال لك على قرعة ؟

ـ استغفر الله يا سوسو موش قصدى ، أنا أصلى موش مصدق

أبدا أن شعر زى ده شعر طبيعى ٠٠ أنا لفيت أوربا من ايطاليا للسويد وشفت شعور فى منتهى الجمال ، لكن عمرى ما شفت شعر بالشكل ده ٠٠ بذمتك ده شعرك الطبيعى ؟

ـ ها ها ٠٠ أما أنت !

هكذا تقول لك وهى ترفع يدها لتصلح من شأن شعرها ، الامر الذى يدلك على أنك قد كسبت الجولة الاولى ٠ حقا (يقول صديقى) أن شعرها قد يكون مثل الكنافة أو الاسباجتى ، أو حتى مثل سلك تنظيف الباركيه ، ولكن هذا لا يهم بالمرة ٠ وحقا انك لم تذهب



الى ايطاليا ولا السويد ، ولم تر شعرا أفرنجيا الا على رأس البت ماريكا اللى ساكنة على السطح ،ولكنك تعرف أن كل شىء مباح فى الحب والحرب ، وهذا — يقول صديقى — حب وحرب معا ٠

خمس دقائق أخرى وأنت تتفرس فى وجهها ، توطئة لان تسأل فى براءة تامة قائلا :

— أظن ما زهقتى من أبر الجلوكوز ٠٠

— جلوكوز ؟!

هكذا تسألك فى دهشة فتقول فى بساطة :

— أيوه ، جلوكوز ٠٠ ما تعرفيش الجلوكوز ؟

— أعرفه ، لكن ليه آخد جلوكوز ؟

— علشان تتغذى ٠

— طيب ما أنا باتغذى ٠

— ازاى ؟

— باكل لحمة وخضار وعيش زى كل الناس ٠٠

فترفع حاجبيك نحوا من عشرة سنتى ، وتفتح فمك الى آخر ما يتاح لك تعبيرا عن دهشتك ، ثم لا تلبث أن تهتف قائلا :

— موش معقول !

— ليه موش معقول ؟

— الله ! انتى عاوزة تفهمينى أن لقمة العيش ممكن تنفد من البق الصغير اللى زى خاتم سليمان ده ؟ أنا بقى لى ساعة باسأل نفسى ازاى دى بتاكل ، والآخر لما شفت قوامك الملفوف الجميل وخدودك اللى زى الورد — قلت لازم عايشـــة على الجلوكوز والفيتامينات والحاجات اللى زى كده ٠

— ها ها ٠٠ أما أنت !

وتخرج لسانها لتلعق شفتيها اللتين هما مثل خاتم سـليمان ، الامر الذى تفهم منه أنك قد ربحت الجولة الثانية ٠

حقا — يقول صديقى — ان فمها قد يكون فى اتساع بوابة المتولى ، ولكن هذا لا يهم بالمرة ٠ بل انه كلما زادت سعة فمها كان الحديث

عن خاتم سليمان أوقع فى نفسها وأقرب الى وصولك أنت الى فمها ٠

ثم انك تهبط ببصرك الى يديها الموضوعتين على حجرها وتسألها فى جد بالغ :

— لما تيجى تفصلى جوانتى ٠٠ بتفصليه فين ؟

فتقول لك فى دهشة :

— أفصل جوانتى ؟! حد فى الدنيا يفصل جوانتى ؟

— انتى طبعا ٠

— اشمعنى يعنى ؟

— لانك موش معقول تشتريه جاهز ٠

— ليه بقى ؟ ٠

— الله ! انتى عاوزة تفهمينى أنهم عملوا جوانتيات بمقاسات صغيرة ٠٠ على أد الايد المحندقة دى ؟؟ ده المصنع لو أنتج جوزين بالمقاس ده ٠٠ يمكن يقعد سنة ما يلاقيش زبونة للجوز التانى !

— ها ها ٠٠ أما أنت !

وتلعب أصابعها وهى تعبث بالخاتم فى اعجاب باليد الرقيقة المحندقة ، الامر الذى تدرك أنت منه أنك قد ربحت الجولة الثالثة ٠

حقا — يقول صديقى — أن يدها قد تكون مثل يد الهون ، أو حتى مثل يد القدر ، ولكن هذا لا يهم بالمرة ، ورب كذبة صغيرة بشأن يد كبيرة تدخل من البهجة على نفس الفتاة ما يجعلها تميل الى ادخال شىء من البهجة الى نفسك أنت ٠

أسبوع أو عشرة أيام — يقول المذكور — وأنت تقدم اليها هذه الجرع من المديح ، فاذا أنت أمام فتاة لسان حالها يقول :

— حرام يا بت الجمال ده كله يضيع هدر !

ذلك الشـعور الذى اذا ركب فتـاة ما فهو بشير — أو نذير — باجمل العواقب — أو أوخمها — حسب موقفك الاخلاقى من تلك الامور ، ذلك الموقف الذى أعتقد أن عندى فكرة عنه بحكم اهتمامك بهذه الكلمات !

رأى فى العصافير



« اذا تصادف أن مررت فى شارعنا ورأيتنى ازغر لك ، فلا تظن اننى اكرهك » .

كنت جالسا مع زوجتى فى الحديقة عندما أصابتنى نوبة فلسفية مفاجئة ، وهو شىء يحدث للكثير من الازواج – كما سمعت – عندما يجلسون مع زوجاتهم فى الحديقة . ومن فوق الشجرة قفزت عصفورة صغيرة الى الارض وراحت تنقر فيها كما هو شأن العصافير .

قلت متفلسفا :

– تصورى أن العصفورة دى أصلها سمكة ؟

فنظرت زوجتى الى ثم الى العصفورة ثم الى ، ثم الى العصفورة ثم الى ، خمس مرات قبل أن تقول :

– طيب .

كلمة موجزة حقا ، ولكنها – مقرونة بتنهد قائلتهافي استسلام – كانت تعنى الكثير ، وأول هذا الكثير أنها – زوجتى – عاشت حتى رأت رجلا يقول أن العصفورة أصلها سمكة ومع ذلك يعامله القانون كما يعامل سائر الناس ، ويكفل له كافة حقوقه الاجتماعية ومنها حق الجلوس مع امرأة شهيدة يربطها اليه المجتمع بوثيقة رسمية .

قلت لها مستدركا :

– هى طبعا مش انقلبت من سمكة لعصفورة على طول .. لأ .. الاول انقلبت سحلية .. وبعدين السحلية انقلبت عصفورة ..

ونظرت الى وجهها لارى أثر هذا الاستدراك ، فبدا لى أنه قد زاد الامر فى نظرها غموضا ، ولذلك هممت بأن أواصل الشرح لولا أن سمعتها تطقطق بلسانها محذرة اياى من الكلام وهى تنظر خلفى ، ففهمت أن هناك شخصا غريبا لا تريده أن يسمعنى وأنا أتحدث عن السحالى التى انقلبت الى عصافير .

وكان ذلك الشخص هو الخادم الذى وصل الى حضرتنا بدون أن نشعر به وهو يحمل القهوة ، تلك القهوة التى وضعها أمامى على الترابيزة وهو يصوب الى نظرات لا تخلو من الريبة بطريقة لم أعهدها منه . فلما انصرف الى حاله قالت زوجتى :

– كويس كده ؟ أهو سمعك ..

فاغتظت .

– طيب وأنا قلت ايه ؟ هو أنا كفرت ؟ ولا باحكى حكاية أبيحة؟ وعلى كل حال الكلام ده موش كلامى أنا ، ده كلام داروين .

فنفخت من أنفها ساخرة تقول :

– طيب ابقى خلى داروين ينفعك !



فلم أفهم ماذا تعنى الا فى عصر ذلك اليوم بعد أن انتقل المنظر من الحديقة الى حجرة الجلوس ، اذ أقبل على ولدى يقول :

– صحيح يابابا العصفورة أصلها سمكة ؟

– أيوه . ليه بتسأل ؟

– وأصلها سحلية كمان ؟

– أيوه . مين قال لك ؟

– فلان .

فلان هو الخادم الذى سمعنى وأنا أتفلسف ، أى أنه قد حفظ تلك الفلسفة ، واهتم بها الى الدرجة التى جعلته يرويها للولد الذى اهتم بها هو الآخر حتى أقبل يسألنى .

قلت له لكيلا يسىء فهمى :

– الكلام ده طبعا حصل من زمان قوى .. حاجة زى ٣٠٠ مليون سنة كده .

فسكت حينا وهو يحسب الحسبة فى عقله الصغير ثم قال وهو يبتعد :

– ها ها .

فلم تعجبنى – بصراحة – هذه الهاها ، وبدأ التشاؤم يزحف الى قلبى ، ذلك التشاؤم الذى أدركت أنه فى محله فى صباح اليوم التالى ، اذ خرجت من باب المنزل ومررت باثنين من أولاد الجيران فرأيت أحدهما ينظر الى ثم يميل على زميله هامسا بكلام لم أسمعه، ولكننى ميزت فيه عددا من حروف السين والصاد بكثرة مريبة وبالترتيب التالى :

– ص ص س س !!

– ص ص س س ؟؟!! .

– آه ...

– هع هع هع ... ما سطل !

ولم يكن عسيرا على بالطبع أن أدرك الكلمات التى تتوسطها هذه الحروف وهى :

– البيه ده بيقول ان العصفورة أصلها سمكة وسحلية !!

– العصفورة أصلها سمكة وسحلية ؟؟!!

– آه ...

– هع هع هع ... اما سطل !

فلو اقتصر الامر على هذا لكان هينا ، ولكنه لم يقتصر ٠٠ اذ عدت الى المنزل فى ذلك اليوم فاذا بى أفاجأ برسم غريب بالطباشير على سور الحديقة ، رسم حيوان غريب لم أفهم بالضبط أن كان سمكة بمنقار أو عصفورة بذيل سحلية ٠

– مين ياواد (سألت الخادم) اللى رسم الصورة دى ؟ ٠

– معرفش يا بيه ٠

– طيب امسحها بسرعة ٠

فمسحها من على السور ، ولكنها لم تمسح من أدمغة الجيران ،اذ مررت فى اليوم الذى يليه بولدين على باب احدى الفيلات فما كادا ينظران حتى حتى قال أحدهما للآخر متسائلا بصـــوت مرتفع أكثر من اللازم :

– حطيت الاكل للسحلية يا أنور ؟

فأجابه الآخر بصوت أشد ارتفاعا :

– أيوه ٠٠ وغيرت الميه للعصفورة !

فأدركت خطورة الموقف الذى أصبحت فيه أمام الدنيا بسبب كلمة عابرة قلتها فى الحديقة ، ولم يعد أمامى الا أن أختار بين أحد سبيلين :

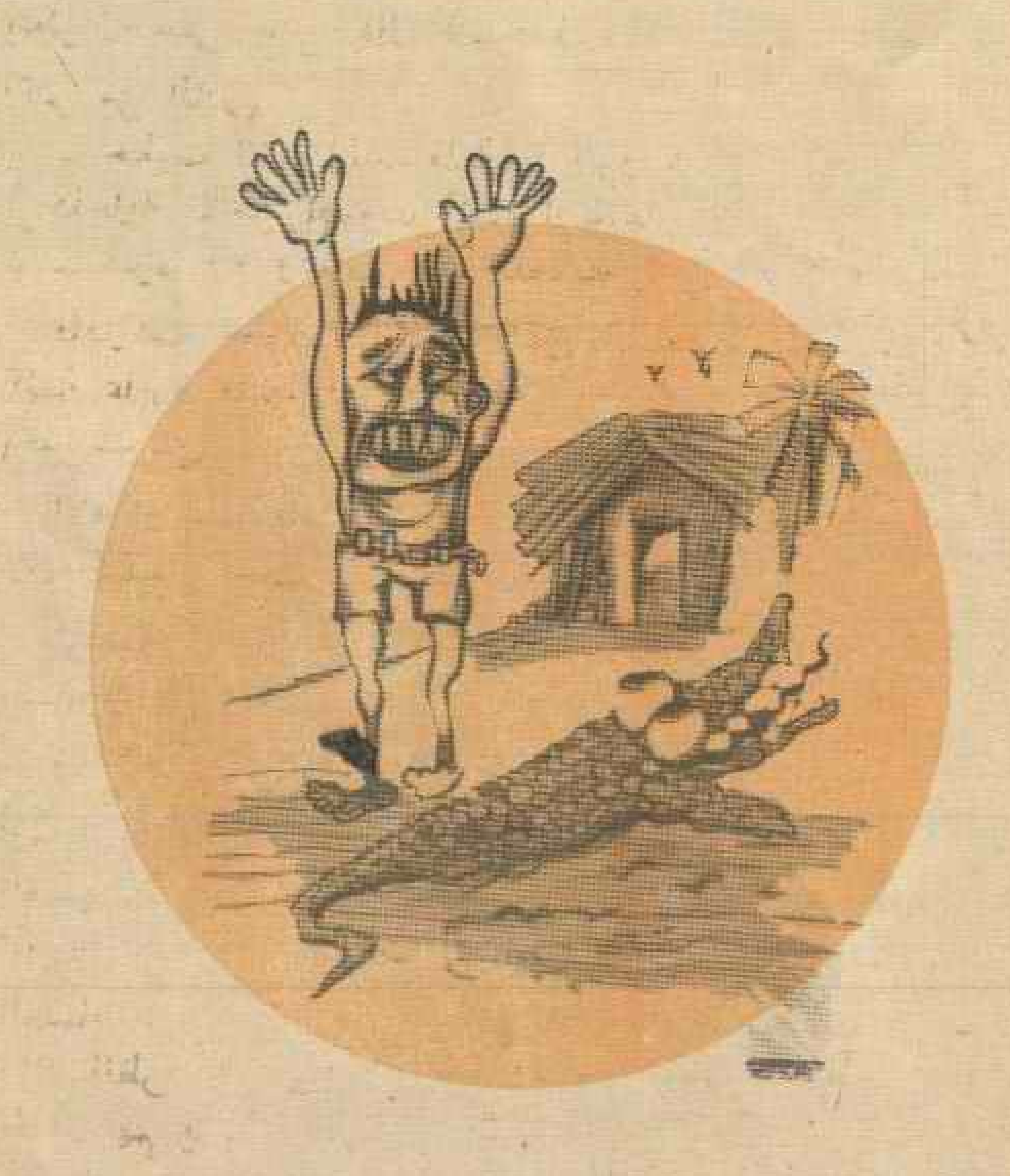
الاقرار علنا باننى كنت مسطولا عندما قلت ذلك الكلام ، وذلك لان السطل أخف من الجنون ٠ ؟

ترجمة كتاب أصل الانواع لداروين والوقوف فى الطريق على صندوق من الخشب لكى أتلوه على المارة ٠

ولما كانت كل من هاتين الطريقتين ألعن من أختها فقد خطر لى أن ألجأ الى الطريقة الثالثة وهى العزال الى حى آخر لا يعرف حكاية العصفورة والسمكة ، ولكننى رأيت أنها تعد نوعا من الهروب المهين للكرامة ٠ ولذلك لم تبق أمامى الا الطريقة الجديرة بكافة العلماء ، وهى اقفال الاذن عن كلام الصعاليك ، والسير فى الطريق وأنا أنظر الى الناس فى هيئة من الازدراء الفلسفى ولسان حالى يقول لهم ياحمير ٠

فاذا تصادف أن مررت فى شارعنا ورأيتنى أزغر لك فلا تظن أننى اكرهك أو أريد الاساءة اليك ، كل ما فى الأمر أن لى رأيا خاصا بشأن العصافير ٠

فانتازيا



« ـ شوف يا استاذ ... اذا كان كل تمساح يدخل عليك الاودة يخليك تصحينى، شوف لك صياد غيرى ، آه . »

مذاكرا

بما أرى فى الافلام الامريكية عن الحياة فى غابات افريقيا ، مدفوعا بالطبيعة الرومانتيكية الحامية التى تميزنا نحن أبناء مديرية الشرقية مركز بلبيس ، أغمض عينى ـ بعد أذنك ـ لكى أطير على أجنحة الخيال عبر مدار السرطان قاصدا الى خط الاستواء ، حيث أفتحهما ـ عينى ـ فأجد نفسى وسط دغل كثيف صامت رهيب ، لا يطرق السمع فيه الا صرخة مفاجئة لحيوان وقع بين مخالب آخر ، تعقبها زمجرة الحيوان الثانى وهو يتلذذ بكبد الاول وكلاويه ، أو عواء ممدود لحيوان ثالث يريد شيئا ما ،مع صوت من الرابع ينم عن الرضا أو السخط وفقا لمزاجه فى تلك اللحظة ، وقس على ذلك .

وظيفتى فى ذلك الدغل ؟ صياد محترف طبعا ،ومرشد فى رحلة صيد لمليونير أمريكى مغفل وزوجته الحسناء ، وهى سيدة نصفها أمريكى ونصفها أسبانى ، مع عدم تأكدى من أى النصفين ـ الايمن أو الايسر ـ هو هذا أو ذاك واسمها أنيتا .

وانظر معى بعين الخيال الينا ونحن نسير فى الدغل الافريقى الكثيف ، محسوبك فى المقدمة يزيح أغصان الشجر المتشابكة لكى يمر خلالها ، تاركا اياها ـ الاغصان ـ لتضرب وجه المليونير الامريكى المغفل .

اف (تقول انيتا فجأة) أنا تعبت خالص .

وتجلس على جذع شجرة مخلوعة لترتاح ، مستخرجة من حقيبتها مرآة صغيرة تنظر فيها وتصفف شعرها ، غير شاعرة بالخطر الداهم الذى يسعى نحوها من حيث لا تعلم ، فى شكل ثعبان أفريقى كبير

يزحف على غصن شجرة فوق رأسها ، ويخرج لسانه نحوها وهو يتلذذ مقدما بما سوف يملأ به فمه بعد لحظات من دمها الاسبانى الشهى .

ويرى زوجها نفس المنظر فتجحظ عيناه ويهم ـ لا مغفل ـ بأن يصيح فى زوجته لولا اشارة منى تأمره بالصمت ، اذ علمتنى خبرة الصياد المحنك بان الانسان لا يصرخ عندما يرى ثعبانا يسعى نحو امرأة حسناء ، بل يخرج مسدسه فى صمت تام ويطلق منه على الثعبان رصاصة قاتلة . وهذا ما أفعله بنجاح تام ! وبجانب السيدة يسقط الثعبان قتيلا ، اذ أتقدم منه فالتقطه وأبدأ فى قياس طوله عن



ذراعى حتى أكمل خمسة أمتار ، فالقى به على الارض فى ازدراء قائلا :

ـ يظهر انه مولود جديد .

وتفهم السيدة ما حدث ، وتدرك كيف أنقذتها من الموت المحقق بينما وقف زوجها جامدا كاللوح ـ أو كالبجم ـ فتبدأ فى معرفة الفرق بين الرجال ، لا سيما عندما ينطلق البجم المذكور فيقول وهو يمسح عرق الخوف الذى ينصب على وجهه البليد :

ـ بس كان لزومهـا ايه الشحططة دى يا انيتـا ؟ ما كنا قاعدين مرتاحين فى بيتنا فى نبراسكا ..

فافهم أنا سر الحكاية ، كيف أنه كان ضد هذه الرحلة من البداية ، وكيف انقاد لزوجته ذات الدماء الاسبانية الحامية وتركها تعبر بين المحيط الاطلنطى كالجردل قاصـدة الى الادغال ، مشتاقة الى مشـاعر المغامرة التى تفتقدها هناك فى نبراسكا مع هذا المليونير بسبب أنه ـ كما أسلفنا ـ مغفل .

⊙❖⊙

أنشينيه سريع على شاشتنا الخيالية ، ثم تعال معى الى منظر الشرفة والوقت ليل ، شرفة الكوخ الافريقى المصنوع من جذوع الشجر وسط الغابة الأفريقية الصامتة الا من الأصوات سالفة الذكر .

المليونير عاكف على زجاجة من الخمر يغرق فيها مخاوفه الكثيرة ، والزوجة جالسة على كرسى هزاز تتأرجح به فى هدوء ،وكلما مالت فى اهتزازها الى الامام وقع ضوء القمر الفضى علىشفتيها فاذا بهما تنفرجان فى غموض أسبانى عميق ، ناظرة طيلة الوقت الى المنظر الوحيد الذى يستحق النظر وأعنى به الصياد المحنك ـ أنا ـ حيث وقفت عند باب الشرفة أرسل نظرة طويلة صامتة الى الغابة المظلمة ـ مملكتى ، وقد انطبع بروفيلى الصخرى على صفحة السماء التى يسبح فيها القمر الافريقى الشاحب .

وفجأة تدب الحياة فى المكان ، عندما يصل الى أسماعنا صوت تلك الزمجرة بين الاشجار القريبة ، ويتراءى لنا رأس أسد أفريقى هائل ما يكاد المليونير يراه حتى يهب مذعورا يقول :

ـ ١ .. ١ .. ١ .. ١ .. ايه ده ؟

ـ ده (أقول له) أسد .

ـ أ .. أ .. أ .. أسد ؟

ـ أيوه أسد .. عمرك ما شفت أسد ؟

ـ وجاى يعمل ايه هنا ؟

ـ جاى يعمل الحاجة الى كل الاسود بتعملها .

ـ ايه هى ؟

ـ يدور على حاجة ياكلها .

ـ طيب ما تقتله ..

ـ وليه أقتله ؟

ـ موش أسد ؟

ـ وهو أنا كل ما أشوف أسد أقتله ؟ ده أنا من ناحية ما أغلب ، ومن ناحية ثانية أصرف كل فلوسى ثمن خرطوش ..

ـ وح نسيبه واقف كده ؟

ـ انت متضايق منه ؟

ـ طبعا ، انت مش بتقول انه جاى يدور على حاجة ياكلها ؟

ـ آه ..

ـ طيب موش يمكن تكون الحاجة دى واحد منا ؟

ـ طبعا .

ـ يبقى لازم تقتله .

ـ قلت لك مفيش لزوم ، وعلى كل حال ولا تزعل .. بس .. بس .. بس امشى (أهو مشى) يا سيدى . استريحت ؟

فلا يجيبنى ، بل يتناول زجاجة الخمر فيضعها على فمه ولا يتركها حتى يأتى على ما فيها ، توطئة لان يدخل الى الكوخ مترنحا يستند على الحيطان ، بينما تحين منى لفتة نحو أنيتا فأرى على وجهها تعبيرا يدله على أنها قد عثرت أخيرا على صـنف الرجل الذى تبحث عنـه طول حياتها .

ومن على كرسـيها الهزاز تنهض فى تثـاقل وتتجـه الى الباب ،

موجهة الى نظرة لا أحتاج الى الكثير من الذكاء لكى أفهم أنها تقول :
– الايام بيننا .

⊙❖⊙

أنشينيه آخر على شاشتنا الخيالية ، ثم ينفتح المشهد على محسوبك وهو نائم – وحده – فى الكوخ الصغير القريب المخصص للصياد الكبير ، واذا بصرخة مدوية تشق سكون الليل ، منبعثة من حنجرة الحسناء أنيتا حيث نامت فى حجرة الزوجية .

من السرير أقفز بالسرعة المعروفة عن الصيادين ، فأسحب بنطلونا ألبسه على عجل وأنطلق عارى الصدر بسبب أن الصيادين لا ينامون بالفانلات أبدا .

والى الحجرة مصدر الصرخة أصل لكى أرى المنظر الآتى :

★ أنيتا واقفة فى فزع فوق السرير .

★ المليونير المغفل متشعلق على ظهر الدولاب .

★ تمساح كبير يزحف على أرض الحجرة وقد فغر فمه وراح يصدر فحيحا سخيفا .

لماذا غادر التمساح ماء النهر ، وكيف اجترأ على اقتحام الكوخ ، وكيف نجح فى ارتقاء السلم الذى يؤدى اليه ، كل هذه الاسئلة ستظل الى الابد بدون جواب .. المهم هو الاجراء الذى اتخذته أنا لانقاذ الموقف ، وماذا يمكن أن يكون ذلك الاجراء سوى القبض على ذيل التمساح وجذبه الى خارج الكوخ ، ثم شروعى فى الدوران به فى دوائر متزايدة السرعة تمهيدا لتركه يطير فى الهواء ، لكى أسمع بعد لحظات صوت ارتطامه بماء النهر الذى خرج منه .

وبينما أقف وأنا أنفض يدى ، ألتفت الى المليونير الذى خرج الى الشرفة ليرقب المنظر مع زوجته قائلا :

– شوف يا أستاذ .. اذا كان كل تمساح يدخل عليك الاوده .. يخليك تصحينى من النوم .. شوف لك صياد غيرى .. آه ..

وانظر اليه من فوق الى تحت وأهم بالانصراف ، لولا ما ألاحظه فجأة من أنه يترنح ويضع يده على قلبه متوجعا ، واذا به يسقط من طوله على الارض ..

– جورج (تصرخ أنيتا) مالك يا جورج ؟

ولكنه لا يجيبها بأكثر من حشرجة ضعيفة ، فنتعاون على سحبه الى حجرته ووضعه فى فراشه وبينما أفحصه لاعرف ما به يرتفع بالقرب منى طنين غريب ، وأنظر الى الحائط فارى عليه ذبابة غريبة الشكل فلا ألبث أن أصيح :

– تسى تسى !

وبسرعة البرق أوجه اليها ضربة قاتلة ، ثم أبدأ فى شرح المسألة الى السيدة أنيتا ، كيف أن هذه الذبابة تسبب مرضا اسمه مرض النوم .

– مرض (تسألنى) خطير ؟

– لأ (أجيبها) بس بينيم .

– يعنى جورج يفضل نايم على طول ؟

– لأ موش على طول .. كام يوم كده .. خمس ست أيام اذا كان حظه حلو .. وعشرة اتناشر اذا كان حظنا احنا حلو !

وفجأة ترتعد السماء فوقنا ويومض برق شديد وراء النافذة ، ويبدأ انهمار المطر الاستوائى الغزير على الكوخ المهجور وسط الغابة العريضة . وبينما ينام الخواجة جورج فى الهدوء المناسب لرجل قرصته ذبابة تسى تسى ، تلتقى عينى بعين أنيتا فأرى علامات المعركة العنيفة التى تدور فى نفسها بين نصفها الامريكى والآخر الاسبانى ، تلك المعركة التى تنتهى بالطبع بانتصار النصف الآخر ، وذلك توطئة لاقترابها منى وصدرها يعلو ويهبط من شدة الانفعال ، ثم اشتباكنا فى قبلة عنيفة ملتهبة مشحونة بكل مافى نفسينا من نيران نبراسكا وأسبانيا وبلبيس ، تلك القبلة التى يعقبها ما يسميه السينمائيون بالفوندو فرميه ، الذى يدل على أن الوقت قد حان للدخول فى فصل جديد من الرواية أتركه – وقد تعب خيال محسوبك – الى خيال صيادتك .

أنا جائعة

بالرغم منى جلست على ركبتيه وأسلمت رأسى ليده الكبيرة تجوس خلال شعرى وتعبث به ، ذلك الرجل البغيض الذى يظن أننى ما وجدت فى الحياة الا لكى أتحمل ملاطفاته وأحقق له المتعة فى أى وقت يشاء ..

كنت جائعة ، وكنت أريد أن أتركه وأذهب الى المطبخ لآكل أى شئ - أى شئ - ولكنه فى امتلاء بطنه لم يشعر بجوعى ، أو شعر به وتجاهله كيلا أبتعد عنه وأحرمه من لذة رخيصة ينالها منى حيث جلست على ركبتيه ..

- اتركنى .. اتركنى أيها الوغد !

هكذا تمنيت أن أصرخ فيه من أعماق قلبى ، ولكنه كيف لى أن أفعل ؟

وتململت فى جلستى أريد أن أنهض فمنعتنى يده القوية ، بل وضربنى على ظهرى ضربة صغيرة ظاهرها المزاح الا أنها فى حقيقتها انذار لى بما يتهددنى اذا أصررت على مقاومته ..

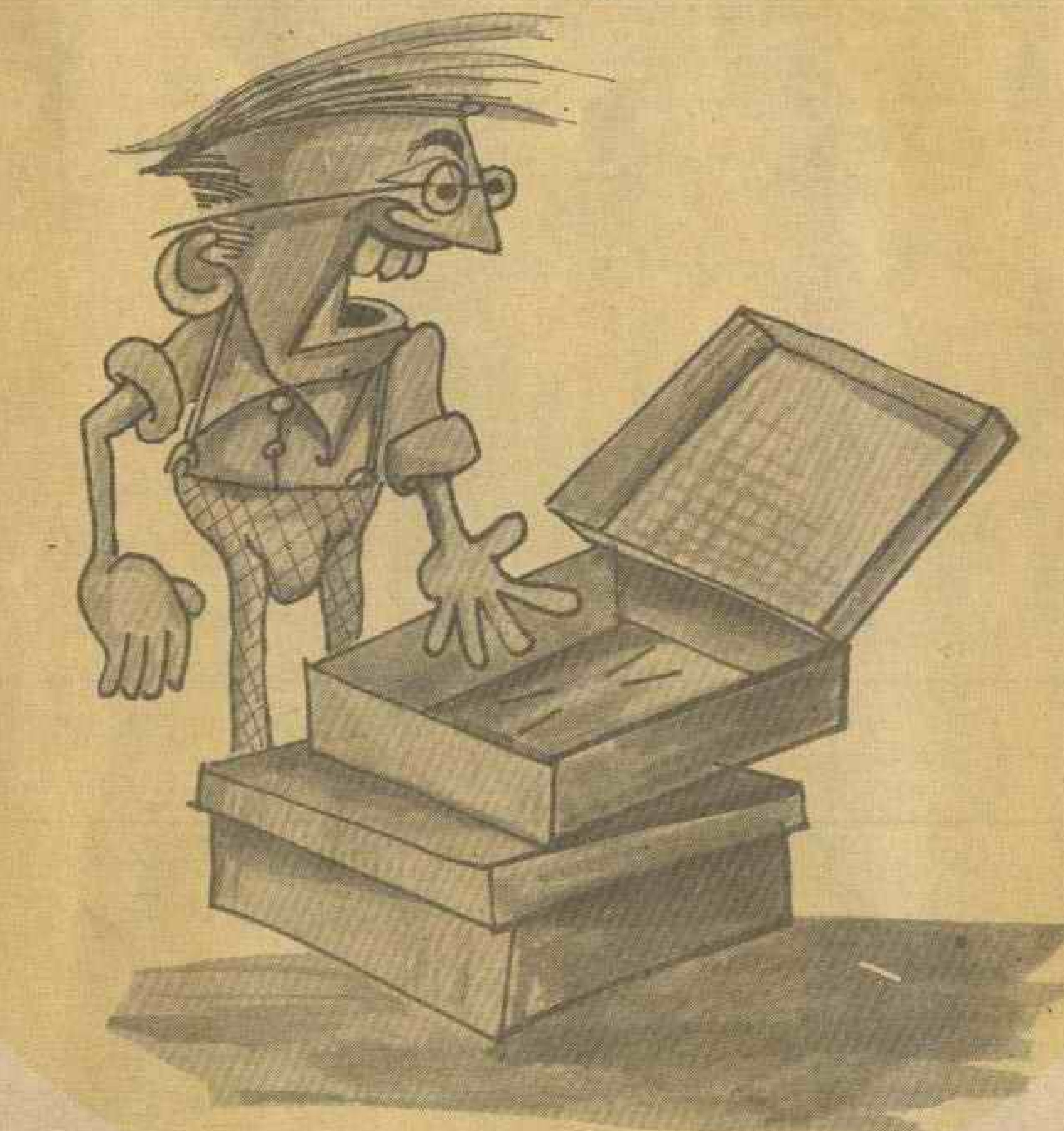
وعادت يده تدور حول رأسى وتهبط الى عنقى وما دون عنقى متحسسة متلمسة ، دقائق طويلة ثقيلة توتر خلالها جسمى كله من فرط نفورى من مداعباته البغيضة .

- انى أكره يدك .. انى أكرهك !

هكذا أردت أن أصرخ فيه من أعماق روحى ولكن كيف لى أن أفعل ؟ انى لى أن أقاوم وحشا رهيبا مثله ؟

وأحسست بيده ترتفع من جديد الى عنقى وذقنى ، ورأيتها بعينى قريبة من فمى فدق قلبى دقا عنيفا وخطرت لى الفكرة اليائسة .. ماذا يمنعنى من أن أغرس أسنانى فى تلك اليد البغيضة ثم ألوذ بالفرار ؟

وللفور أنفذت الفكرة .. وسمعت بأذنى صرخته العالية وقد غاصت أسنانى فى لحم يده ، وشعرت به يدفعنى بعيدا عنه وهو يصب على اللعنات . ولكن لعناته لم تهمنى بقدر ما همنى أن ألوذ بالفرار ، خلال الباب المفتوح الى الصالة الى الطابق الارضى ، وربما الى حديقة المنزل حيث لا يمكنه اللحاق بى .



وفى الصالة ركضت كالمجنونة دون أن أنظر خلفى ، سامعة وقع قدميه وهو يعدو ورائى ليثأر لنفسه منى .. ولكنى كنت أخف منه وأسرع منه ، فوصلت الى السلم قبله وشرعت أهبط الدرجات قفزا ، لامحة اياه عند منحنى السلم وهو ينحنى ليلتقط فردة من شبشبه ويقذفنى بها ، قذفة شديدة الا أنها مرت بجانبى دون أن تمسنى ..

وفى حديقة المنزل وقفت لحظة ألهث ، ثم أسرعت الى الناحية الاخرى حيث باب المطبخ فدخلت منه متسللة .. وهناك رأيت الحلة الكبيرة التى تفوح منها رائحة الطعام الشهى .

وأقبلت على الحلة متلهفة لكى أفاجأ بتلك الصدمة الاليمة :

كانت الحلة مغطاة بغطاء كبير ثقيل حاولت أن أزحزحه بأصابعى فلم أفلح ،اذ كيف يتسنى رفع غطاء ثقيل .. لقطة صغيرة مسكينة مثلى ؟ !

مسألة حسابية

موظف عمره خمسون عاما ومرتبه خمسون جنيها اشترى لوازم المدارس لاولاده الخمسة ،فكم أصبح عمره !

★ ★ ★

ياخسارة

سمعت انهم فى بنوك سويسرا يدفعون فائدة قدرها ١٧ فى المائة، وباتصالى بهم تبين لى انهم للاسف لا يقبلون فتح حساب بعشرين جنيها !

★ ★ ★

ديك بشرى

اختلج لغده عندما سعل واهتز كرشه العظيم ، بعد ان سحب نفسا عميقا من السيجار الهافانا الفاخر المرشوق فى يده بين خاتمين نفيسين . ذكرنى بالديك الرومى فى نفخته وغطرسته مع جهله التام بان غدا قد يكون الكريسماس !

دنيا العيال



« لو كان بنى آدم لسكت ، ولكن متى كان الطفل فى الثالثة بنى آدم ؟ »

أنا

لا أشعر بميل كبير نحو صغار الاطفال ، بل أننى – اذا أردت الحق – لا أشعر نحوهم بأى نوع من الميل ، وربما كنت – اذا أردت المزيد من الحق – أكرههم وأحتقرهم ولا أريد أن أرى وجههم ٠ خذ مثلا ذلك الصعلوك ، ولدى البالغ من العمر ثلاث سنوات ، اذ يأتى الى فى اللحظة التى لا أريده فيها بالمرة ، ويشير الى برتقالة موضوعة بالقرب منى قائلا :

– دى يوسفندية يا بابا ؟

وهو يعرف جيدا أنها ليست يوسفندية ، ويعرف أننى أعرف أنها ليست يوسفندية ، ويعرف أننى أعرف أنه يعرف أنها ليست يوسفندية ، ولكنه – لسبب ما فى عقله المنحط – يصر على توجيه ذلك السؤال السخيف ٠

– لا يا سيدى (أقول له) دى برتقالة ٠

فيبتسم لى كأنى قلت له نكتة ويقول مستوثقا :

– برتقالة ؟

– آه ٠٠ برتقالة ٠٠ اليوسفندية هناك أهه ٠٠

وأشير نحو المذكورة لكى أريحه ، فيظهر لى أنه يتابع بعينه اشارتى ، فى حين أنه يوجه عينه الى يمين البرتقالة ،والى يسارها، وفوقها وتحتها ، ويرفض كل الرفض أن تستقر عينه عليها ، لان عثوره عليها بهذه السهولة يعتبر نوعا من الهزيمة التى لا تقبلها نفسه الجشعة المجرمة ٠

– فين يا بابا ؟

هكذا يسألنى وهو ينحنى لينظر تحت الترابيزة ، ثم يرفع رأسه لينظر الى السقف ، والى عشرين نقطة فى الحجرة الا النقطة التى يعرف أن البرتقالة موجودة بها ، الامر الذى يجعلنى أقبض عليها والوح بها أمام وجهه قائلا :

ـ أهه .. أدبها فى عينك ؟

فلو كان بنى آدم لانهزم وسكت ولكن متى كان الطفل فى الثالثة بنى آدم ؟ .. اذ ينظر الى البرتقالة ويقول لى فى استفسار تخالطه دهشة :

ـ دى برتقالة ؟

يعنى أنه قد رآها من ساعة دخوله الى الحجرة ، ولكن آخر شىء كان يخطر له هو أنها برتقالة ، فلو كنت قلت له انها برتقالة لانتهى الامر من البداية .

ـ اسأل (أسأله فى غيظ) بطيخة ؟ شمامة ؟ قلقاسة ؟ كرنبة ؟ قرنبيطة ؟

ذلك الاسترسال الذى يغريه بأن يتابعه على سبيل التريقة فيقول :

ـ دى ملوخية !

ونقول له أنها بايخة . يمسك البرتقالة وتدور بيننا المحاورة التالية :

هو ـ اقطعها لى

أنا ـ ما معاييش سكينة .

ـ اقطعها بايدك .

ـ معرفش ..

ـ ما تعرفش .

ـ آه ..

ـ لأ تعرف ..

ـ لأ معرفش

ـ ليه ؟

ـ كده .

ـ طب قوم هات سكينة .

ـ هو أنا خدام أبوك ؟

ـ انت خدام أبويا ؟

ـ يا واد غور من وشى .. روح لامك تقطعها لك .

ـ ماما تقطعها لى ؟

ـ آه ..

ـ بالسكينة ؟

ـ آه ..

ـ ما معاهاش سكينة .

- لأ معاها سكينة .
- معاها سكينة ؟
- آه ..
- تعمل بيها ايه ؟
- تقطع بيها البرتقالة
- تقطع بها البرتقالة ؟
- آه ..
- البرتقالة دى ؟
- آه ..
- دى برتقالة ؟
- آه ..
- موش يوسفندية ؟
- آه غور من وشى بقى جتك البلا !

فبدلا من أن يزعل يبتسم ، ويولينى قفاه الابله ويبتعد وهو يتخلع فى مشيته بابتذال فرحا بالبرتقالة اللى آخذها ، وبالنصر الرخيص الذى سجله باضاعة خمس دقائق من وقتى ..

نعم ، أنا لا أحب الاطفال ، بل أكرههم وأحتقرهم وأريد أن أكسر رقبتهم .



فى سبيل المديح

علمتنى الايام انه لكى يكيل الناس لى المديح بشدة ، يجب ان تتوافر فى شروط كثيرة ، اولها - للاسف الشديد - ان اموت !

★ ★ ★

أنواع السفالة

الفرق بين السافل العادى والسافل المركب ان الاول يبذل كل جهده لكى لا يعرف احد انه سافل ، فى حين ان الثانى لاتتم متعته الا اذا عرف الجميع انه كذلك !



إتيكيت



« لا يحق للانثى ان تقل ادبها على ،
ما دامت لا تنوى ان تقله معى »

من

الاشياء التى تنرفزنى جدا أن أمد يدى الى أنثى جالسة لكى أصافحها ، فتتناولها — يدى — دون أن تقف أو (تهم) أو تحدث أى تغيير فى وضعها الجالس ، فى حين أننى أمد نفس اليد الى السيد والدها أو أخيها أو زوجها — وأحيانا عشيقها — فيقف فى الحال لكى يفى تلك اليد حقها من الاجلال بصفتها يد زميل له فى البشرية ، دعك من أنها يد كاتب هذه السطور .

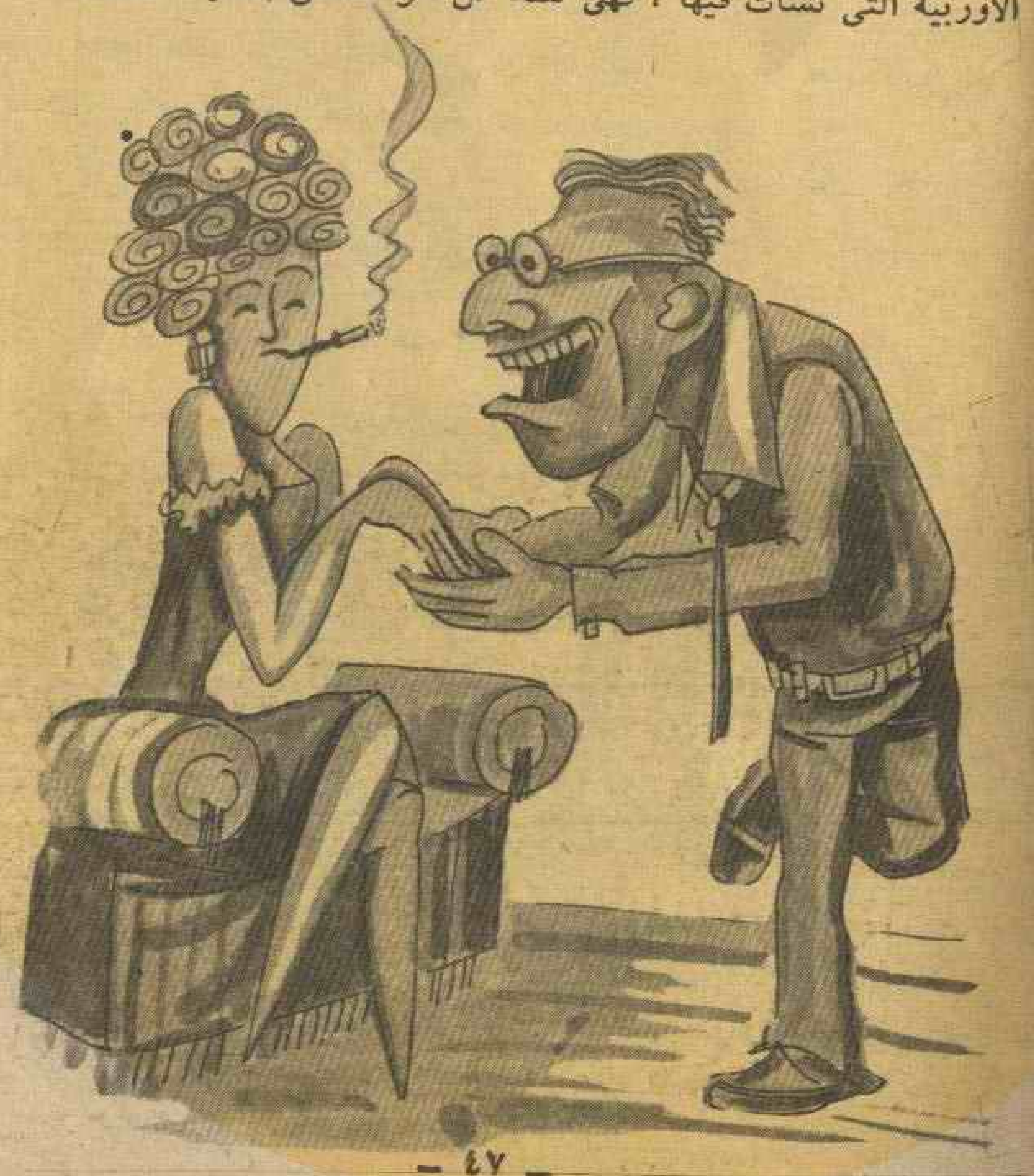
انه لا حرج على الانثى — فى نظرى — من أن تصافحنى فى حال الجلوس اذا كانت فى السن التى تسمح لها بأن تكون والدتى لو تصادف أن كانت قابلة السيد والدى فى الوقت المناسب ، كذلك لا حرج عليها اذا كانت صديقة حميمة أراها كل يوم ، أو كان قد وقع بيننا فى وقت ما قدر من التمازج الروحى الذى يبرر هذا السلوك ، بشرط ألا يكون قد مضى على هذا التمازج أكثر من شهرين .

أما عندما تكون تلك الانثى صغيرة السن ولا تربطها بى أى من تلك الروابط المذكورة على سبيل الحصر ، فانا لا أجد أى سبب يبرر مصافحتها اياى وهى جالسة ، بل أعتقد أن هذا التصرف من ناحيتها لا يخرج عن كونه لونا من قلة الادب .

انها تفترض — تلك الانثى قليلة الادب — أن أنوثتها تعطيها ميزة وتمنحها حقوقا ليست لى ، ولذلك يجب أن أهب واقفا اذا مدت يدها الى ، فى حين تظل هى مبروشة عندما أمد أنا يدى اليها . كيف أقنعت نفسها بتلك الفكرة لا أدرى ، اذ أن المنطق — مؤيد بالواقع الفسيولوجى والتاريخى والاقتصادى — يشير بوضوح الى أننى — أنا

الرجل — أعلى منها مرتبة وأطول — بغير شك — باعا . فأنا أقوى منها جسما ، وأكثر مالا ، وأكبر عقلا بدليل ما ظهر بين أقرانى الرجال من عبقريات ضخمة خالقة غيرت وجه التاريخ ، فى حين أنها — الانثى قليلة الادب — لم ترتفع قط فى مراتب العبقرية عن عبقرية الجسم ، سواء كانت عبقرية الرقص ممثلة فى بافلوفا أو عبقرية المشى فى مارلين مونرو .

انها فكرة أخذتها عن كتاب رخيص أو مقال تافه فى قواعد الاتيكيت ، تلك القواعد التى اذا كان لها أى معنى فى المجتمعات الاوربية التى نشأت فيها ، فهى تفقد كل أثر للمعنى بمجرد خروجها



من تلك المجتمعات . فعندما تمد الزوجة الفرنسية يدها للضيف وهى متمددة على أريكتها الفرنسية الوثيرة ، لا توجد أى مناسبة لان يزعل ذلك الضيف ، لانه يعلم حق العلم أن هناك احتمالا كبيرا فى أن يفاجأ – بعد ١٤ ساعة لا غير – بدخول تلك السيدة عليه فى شقته الخاصة ، الامر الذى لايجعله يعترف لها بحقمصافحته وهى جالسة فحسب، بل يجعله ينحنى من طوله على تلك اليد الباريسية المعطرة لكى يقبلها بما هى جديرة به من الاحترام الذى هو وليد التفاؤل .

فى مثل هذه الظروف الفرنسية لم أكن لاجد أنا الآخر بأسا من أن تصافحنى الانثى وهى جالسة أو متكئة أو حتى نائمة ، بل لم أكن لاجد بأسا من أن تصافحنى بيدها اليسرى ، أو تصافحنى وهى تشتمنى ، أو تتف فى وشى ، أو تلحق بى أى نوع من الاهانات التى أعرف أنها قد تمحى غدا ، وأنها ليست الا عقوبة توقعها السيدة على بسبب ذنب متوقع الحدوث ، أو ضريبة تفرضها على المبلغ الذى تنوى أن تضيفه الى رصيدى فى بنك العواطف .

انها – كما ترى – قاعدة ايتيكيتية مفهومة فى باريس ، أما هنا فى القاهرة المحافظة فهى تفقد صفتها كلية ، وقد كنا – نحن الرجال – مثلا مجسما للبلاهة عندما سمحنا لتلك التقليعة بالتسرب الى صالوناتنا ، تماما كما كان شأننا عندما سمحنا لتقليعة أخرى بالتسرب الى موائدنا – تقليعة استخدام الشوكة فى أكل الملوخية الخضراء .

ان الفرنسيين لا يعرفون الملوخية ولذلك يصرون على استخدام الشوكة – ويعرفون نساءهم ولذلك يعترفون لهن بقلة الادب كقاعدة ايتيكيت .

أما هنا فى القاهرة فعندى مبدأ لن أحيد عنه أبدا فى مثل هذه الامور :

ان الملوخية لا تؤكل بالشوكة ، وانه لا يحق للانثى أن تقل أدبها على ما دامت لا تنوى أن تقله معى (فلتفكر النساء المحيطات بى فى الامر جيدا كلما مددن الى أيديهن وهن جالسات) .

مأساة صغيرة



« أنا الجلاس فى صيفها ، وأنا السحلب فى شتائها • »

ثلاث سنوات – ثلاث سنوات كاملة – وأنا الحب الوحيد لديها • أنا الشمس فى حياتها والقمر والرياح والمطر ، وكل ما هو جميل أو مثير ، أنا الجلاس فى صيفها ، والسحلب فى شتائها ، وأنا الويسكى اذا أرادت أن تسكر ، والالكاسلتزر اذا أرادت أن تفيق ، وأنا كل شىء فى حياتها ، كل شىء •

وكذلك كانت هى فى حياتى ، بل وأكثر • فيمكنك أن تقول – بغير تطويل – أننى لم أذق طعم الحياة الا فى اليوم الذى عرفتها فيه • طويلة بيضاء مشرقة ، فى ابتسامتها فرحة الدنيا وبين أحضانها خلاصة جوهر سر الحياة • أقبلها فتقبلنى فأقبلها ثانيا ، حبيبتى الوحيدة الخالدة ، حبيبى أنا •

وهى غنية أيضا ، النقود بين يديها مثل مياه النهر التى يخيل اليك – لكثرة ما تسحب منها – انها ستنفد ، ولكنها لا تنفد أبدا • وهناك على صفحة ذلك النهر الذهبى قضيت تلك السنوات الثلاث أغطس واقب ، لاهيا عابثا مستغنيا عن العمل ، أنا وحبيبتى الجميلة المشرقة ، التى بين أحضانها خلاصة جوهر سر الحياة •

من أين يأتيها المال ؟ من زوجها طبعا ، من ذلك الرجل العجوز الذى يقيم معنا فى نفس البيت والذى عرضت عليها ذات يوم أن نتركه – وهى وأنا – فقطبت جبينها الابيض منكرة قولى ، من ناحية لانه مسكين رغم أنه غنى ، ومن ناحية أخرى لانه غنى الى جانب أنه مسكين •

بل انها رجتنى أكثر من مرة أن أحبه ، أحب ذلك الرجل الذى ينفق علينا ، لا لانه ينفق علينا فحسب ، وانما لاننى – وفقا لفلسفة غريبة

عندها – يجب أن أحبه ، كما يجب أن أحب كل النـاس ، تلك الفلسفة التى يشاركها فيها الرجل العجوز نفسه ، اذ قال لى أكثر من مرة – صدق أو لاتصدق – أنه هو الاخر يحبنى ويريد منى أن أحبه !

فأحببتـه ، أو على الاقل أقنعت نفسى بأننى أحبـه ، وأصـدق ما يمكنك أن تقول هو أننى – على مر تلك السنوات الثلاث – وجدت خيره أكثر من شره فاعتدت عليه ، خصوصا أنه كان معظم الوقت فى عمله خارج المنزل مشغولا بتدبير المال الذى يوفر لنا بحبوحة عيشنا ، حبيبتى الجميلة وأنا •

ثلاث سنوات من عسل السعادة الابيض بغير نحل ، من الضحك والمرح والقبلات ، ونزهات الخلاء فى السيارة والقبلات ، وأكل سندوتشات الكبد والروزبيف على البلاج والقبلات ، ومطاردة بعضنا البعض فى حجرات المنزل والقبلات ، أنا وحبيبتى المشرقة البيضاء ، حبيبتى أنا ، وفجأة ٠٠

الهول الاسود والسم الزعاف ، والبصقة المريرة التى أمطرتنى بها سماء الزمن الاغبر ، يوم جاءت تقول لى وهى تقبلنى :

ـ كمولتى (اسم التدليل الخاص بى اشتقاقا من كامل) ٠٠ أنا ح أسيبك وأسافر جمعة ٠٠

لماذا ـ سألتها ـ فقالت بابتسامة غامضة :

ـ موش ح أقول لك ٠٠ لكن ح أجيب لك معايا هدية حلوة قوى ٠٠

فلم أدر هل أحزن للفراق أو أفرح بالهدية المتوقعة ، ولم يكن لى على أى حال حيلة فى القبول ، فودعتها وفى قلبى خفقان منذر ، منذر بالهول الاسود والسم الزعاف ، والبصقة المريرة التى تجهز لى بين أشداق الزمن ٠

فالى اليوم الذى أموت فيه ـ مهما طال بى العمر ـ لن أنسى (كيف أنسى ؟) ذلك اليوم المشئوم بعد أسبوع ، اذ عدت من الخارج فوجدتها قد عادت من سفرها ، ووقع بصرى لحظة دخولى على أن أنكر منظر يقع عليه بصر انسان ذكر ، منظر حبيبتى الجميلة ـ حبيبتى الوحيدة الخالدة ـ وبين أحضانها شخص آخر لا أذكر أننى رأيته قط من قبل ٠

وجدتنى أبتسم حيث وقفت عند باب الحجرة ، اذ ظننت أن فى الامر مزحة وان كانت مزحة سخيفة ، ولذلك قررت أن أشترك فيها بالرغم من سخافتها ، فتقدمت منها ومن شريكها وأهويت على قفاه بصفعة مازحة الا انها قوية بالقدر المناسب لسخافة مزحته ، تلك الصفعة التى أدركت على أثرها مدى غباوتى حين افترضت فكرة المزاح ، وذلك بسبب الصفعة التالية التى استقرت على وجهى أنا ، لا من يد الذى صفعته كما قد يخيل اليك ، وانما من يد حبيبتى أنا وهى تصرخ فى قائلة :

ـ ابعد عنه ٠٠ انت مجنون ؟!

ودفعتنى بعيدا لتحمى شريكها ، بعد أن صفعتنى بيدها التى تأكلت عليها شفتاى من كثرة القبل ، بينما تمسك هو بأحضانها غير مكترث بأمرى ، منتشيا بالقبلة التى انثنت تطبعها على خده وهى تقول له مواسية :

ـ معلهش ٠٠ معلهش يا أسومتى !

اذ أن اسمه ـ كما علمت فيما بعد ـ أسامة ٠

⊙❖⊙

أسبوعان كاملان وذلك الوغد عندنا لا يعود من حيث أتى ، بل انه لن يذهب أبدا الا اذا أخذه الله ـ كما سمعت زوج حبيبتى العجوز يقول لها ذات مساء ٠

لماذا ـ سألته ـ لا نطرده أنا وأنت ؟ لماذا لا نتكاتف عليه فنضربه ضربا موجعا قاتلا ، ثم نقسمه بالسكين الى قطع صغيرة نضعها فى شوال قديم ، ونلقى به من النافذة لكى تأكله الكلاب ؟

ولكنه لم يكن من رأيى ، اذ أنه بالرغم من عدم ارتياحه لهذا العاشق الجديد ـ لا يزال متمسكا بفلسفته المريضة التى تقول بأننى يجب أن أحب كل الناس بما فيها ذلك الوغد الدخيل ، مثلما أحبنى هو ـ الزوج ـ يوم كنت حبيب زوجته الوحيد ٠٠

ـ واذا مديت ايدك عليه تانى (هكذا أختتم موعظته) ح أقطع رقبتك !

وهكذا قضى الامر ـ أمرى أنا ـ ولم يعد أمامى سوى طريقين لاثالث لهما : أن أستكين وأرضى بهذه الحياة الذليلة المخزية فى سبيل لقمة العيش ، أو أن آخذ بعضى وأهيم على وجهى فى بلاد الله الواسعة ٠

وكان هذا الحل الاخير هو الذى راق لى ، فانتظرت ذات ليلة حتى نام الجميع وتسللت الى الحديقة المظلمة ، ومنها الى الشارع المقفر الذى لا يضيئه الا مصباح شاحب ضعيف ٠

ولكنه لم يكن مقدرا لى أن أبتعد كثيرا ، اذ سمعت صرخة ، وصرخة أخرى ، ثم ضحكة ساخرة ، ثم خطوات تقترب مسرعة من خلفى ، ويد

تجذبنى وتعود بى الى البيت .. وهناك وجدت حبيبتى تنظر الى فى لوم وعتاب ، واذا بها تأخذنى بين أحضانها فتقبلنى ، ولكنها كانت قبلة منقوعة فى الشفقة ، وفيها رائحة من الآخر الدخيل تتسرب الى أنفى كالسم الزعاف .

لن أستطيع أن أفر بكرامتى ، ولن أستطيع أن أقضى على عدوى الدخيل ،ولن أستطيع أن أمنع حبيبتى من تقبيله أمام عينى،مكتفيا بشعور الغثيان الذى يعترينى كلما رأيت ذلك الخزى المكشوف ، لاننى — وفقا لفلسفة ذلك البيت — يجب أن أحب الناس جميعا .

وهناك سوف أعيش الى الابد ، على هامش حياة عدوى الدخيل ، طريدا من جنة حبيبتى المشرقة البيضـاء ، متطلعا من بعيـد — من بعيد — الى الاحضان الدافئة التى يستمتع فيها الشخص الآخر بخلاصة جوهر سر الحياة .

(ملحوظة : هذه صفحة منتزعة من يوميات طفل عمره ثلاث سنوات بعد أن ولدت أمه طفلا ذكرا جديدا) .

ثمن الزواج

يحتاج الشاب كما يقال لى الى ما لا يقل عن الفين من الجنيهات لكى يتزوج ، وذلك اذا كان من الطبقة المتوسطة . وهذا الشاب الذى يدفع هذا المبلغ فى سبيل الزواج هو فعلا من الطبقة المتوسـطة الذكاء .



من أجل ثراء سريع

قال الحكيم لتلميذه : اذا اردت الثراء السريع فافتح مطعم فول . قال فاذا لم يتح لى ان افتح مطعم فول ! قال فافتح محل احذية . قال فاذا لم افتح محل احذية ! قال فافتح مستشفى ولادة ، او اى تجارة اخرى تدور ما بين البطن والقدم !

نجمة المستقبل



« الصوت بالنسبة للمطربة اصبح فى المرتبة الثانية ، ما دامت تعرف كيف تلعب حواجبها .. »

أنا

اليوم لست كاتب هذه السطور ، وانما أنا منتج سينمائى من نوع نادر جدا ، والمنظر التالى يدور فى شقتى بالزمالك ، وهو كما يقول السينمائيون « ليل داخلى » . يسمع رنين جرس البـــاب ثم يدخل على خادمى الخاص .

الخادم : واحدة اسمها الآنســة ليلى سليمان عاوزة تقابل سيادتك ..

أنا : آنسة يا ابراهيم ؟

هو : بتقول كده يا فندم .

أنا (متفكرا) : ليلى سليمان .. ليلى سليمان .. آه .. دى كلمتنى امبارح فى التليفون وقالت انها عاوزة تشتغل فى السينما . هى حلوة يا ابراهيم ؟

هو : زى لهطة القشطة يا بيه ..

أنا : ومحتشمة يا ابراهيم ؟

هو : عيب يا بيه .. لو كانت محتشمة كنت وزعتها من نفسى ..

أنا : طيب قول لها تتفضل .

« أفرك كفى فى لهفة الانتظار ، ريثما يعود الخادم وفى صحبته فتاة تقول للقمر قوم وأنا .. الخ » ، فما أكاد أراها حتى تثور فى نفسى عواطف احتكارية ملتهبة .

أنا : أهلا وسهلا .. انتى نورتى البيت .

هى : أنا ما كنتش عارفة أن ده بيت .. لما سيادتك وصفت لى العنوان فى التليفون افتكرت أنه عنوان المكتب .

أنا : أنا لا أومن بالمكتب كمكان لاستقبال نجمات المستقبل . البيت هو أصلح مكان لظهور المواهب الفنية ، خصوصا اذا كانت خفيفة . اتفضلى استريحى ..

(تجلس واضعة ساقا على ساق وأنا أصوب الى الساق العليا نظرة سينمائية فاحصة) .

هى : أنا عاوزة أشتغل مطربة .

أنا : أنا برضة رأيى كده . من ساعة ما شفتك وأنا شاعر أنك مطربة هايلة . ياترى بتعرفى تغنى كمان ؟

هى : طبعا .. ازاى أشتغل مطربة من غير ما أعرف أغنى ؟



أنا : اللى لها عيون حضرتك موش ضرورى تغنى علشان تكون مطربة . ممكن تسمعينى حاجة ؟

(هى تتنحنح وتشرع فى الغناء وأنا أستمع الى ساقيها باهتمام .. تنتهى الاغنية) .

أنا : بصراحة يا آنسة .. صوتك عادى خالص !

هى : يعنى أنا ما أنفعش مطربة ؟

أنا : طبعا تنفعى . الصوت بالنسبة للمطربة أصبح النهاردة فى المرتبة الثانية ، ما دام تعرف تلعب حواجبها . وعلى كل حال المهم هو اللحن الجميل ، وحتى اللحن مالوش أهمية كبيرة جنب مقاس صدر المطربة . يا ترى تعرفى تمثلى كمان ؟

هى : أظن كده .

أنا : طيب قولى أحبك .

هى : اشمعنى أحبك ؟

أنا : كلمة أحبك هى المحك اللى نعرف بيه مقدرة الممثلة ومقدار احساسها بالخصائص الموسيقية للحروف الابجدية المختلفة .

هى : (بلهجة تمثيلية) أحبك .. أحبك .

أنا : الله أكبر .. ولا سارة برنار والله (تسمحى ترفعى ديل الفستان سنتى ولا اثنين ؟

هى : وده ليه بقى ؟

أنا : علشان أشوف عندك رجلين الممثلة ولا لأ ..

هى : أنا أعرف أن الممثلة بوشها موش برجليها ..

أنا : الكلام ده فى المذهب الكلاسيكى القديم . النهاردة الجمهور بطل يبص للوجوه ، والممثلة القديرة هى اللى تعرف ازاى تعبر برجليها . أنا مستنى .

(هى ترفع الفستان فوق الركبة بثلاثة سنتى) .

أنا : مبروك عليكى .. رجليكى ح توصلك بعيد قوى فى عالم السينما .. تسمحى تقفى وتخلينى آخذ لسيادتك منظر خلفى ؟

(تقف وتولينى ظهرها وهى تبتسم نحوى من فوق كتفها) .

هى : أقدر أعرف ايه فايدة المنظر الخلفى ده ؟ ..

أنا : ده مهم جدا حسب فن السينما الحديث ، والممثلة العصرية لازم يكون لها ظهر معبر عن أدق معانى السيناريو . تسمحى تتمشى قدامى شوية ؟

(هى تتمشى وأنا أتابع حركتها بنظرات انتاجية محنكة) .

أنا : برافو عليكى .. مشيتك كويسة جدا خصوصا فى السينما سكوب ، ويا سلام عليها بعد ما يظهر الفيلم المجسم . لو مشيتى بالشكل ده فى فيلمين ثلاثة ممكن تترشحى للاوسكار .. ممكن تيجى تقعدى جنبى ؟

(تجلس بجانبى فادنى منها أنفى وآخذ شهيقا عميقا) .

هى : أنت بتعمل ايه ؟

أنا : باشوف مدى صلاحيتك للافلام ذات الرائحة ..

هى : هم اخترعوا أفلام ذات رائحة ؟

أنا : أمال .. والسنة دى ح أنتج فيلمين منها ، واحد اسمه اسماعيل يس فى حلقة السمك .

تسمحى لى أمتحن صلاحيتك للافلام ذات الطعم ؟

هى : أظن نستنى اما يخترعوها أحسن .

أنا : زى بعضه .. قولى لى بقى .. انتى قابلتى منتجين قبلى ؟

هى : بصراحة أيوه ..

أنا : واحتكروكى ؟

هى : لأ طبعا والا ما كنتش جيت لك .

أنا : قابلتى مين ؟

هى : فلان الفلانى وعرض على ٥٠٠ جنيه فى الفيلم ..

أنا : بالتمثيل ؟

هو : أيوه لكن أنا ما رضيتش طبعا .

أنا : لكى حق . فلان ده بخيل قوى ، ومتجوز كمان . أنا شخصيا أفضل انى أكتب معاكى عقد احتكار لمدة سنتين قابلة للتجديد . تاخدى كام ؟

هى : ألف وخمسماية كويس ؟

أنا : قليل (خدى ألفين وخمسماية) .. الممثلة لازم يكون معاها فلوس كثير علشان تقدر تظهر بالمظهر اللائق سواء أمام الجمهور أو أمام المنتج . عندك فساتين كثير ؟

هى : فى الحقيقة مش قوى .

أنا : ح أدفع لك ٥٠٠ جنيه اضافية علشان الفساتين : الناس كلها بتعتقد أن الممثلة هى الفستان والفستان هو الممثلة ، ولو إنى أنا طبعا ضد الفكرة دى .

هى : ما تحبش الفساتين ؟

أنا : أحبها فى المكان المناسب وهو الدولاب .

هى : خلاص .

أنا : (مناديا) يا ابراهيم .. هات قزازة الويسكى وكاسين .. (لها) ده بس علشان نشرب نخب اتفاقنا ..

(يدخل الخادم بالمذكور أعلاه ويصب منه كأسين) .

أنا : (للخادم) اجرى أنت طلع نسختين من عقد احتكار .. وحطهم على الكومودينو (لها وأنا أقرع كأسها بكأسى) فى صحتك يا نجمة المستقبل ..

السعداء

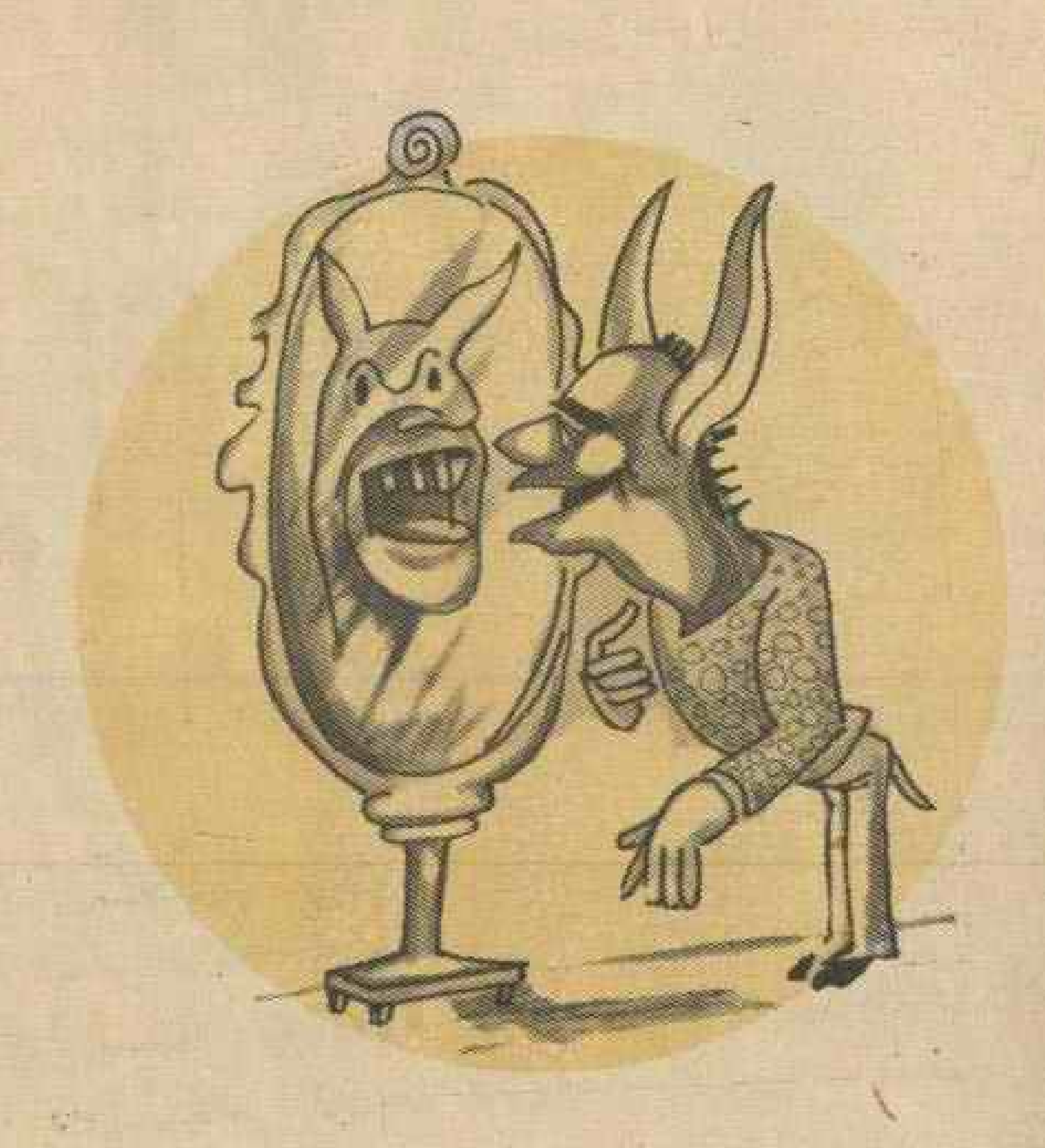
الناس نوعان : ناس سعداء ، وناس يركبون الاوتوبيس !

★ ★ ★

ليتك تعود يا أبى لكى ترى الجنيه المصرى الذى كنت تدفعه انت ايجارا لشقة من اربع حجرات ، كيف دفعته انا بالامس ثمنا لصحن سلطة !

وعلى اى حال فشكرا لك يا أبى ، اذ وهبتنى نعمة الحيـاة ، ثم ربيتنى وعلمتنى ، وثقفتنى ، وجعلت منى ذلك الشخص المحترم الذى يثق فيه النـاس الى درجة ان يأتمنوه بين الحين والاخر على عشرة جنيهات سلف !

الأناقة ونحن



« مهما كان من أمر ، فالمرآة ماتزال اختراعا جديدا ينقصه الصقل »

عندما كنا – نحن كاتب هذه السطور – فى عشريننا ، كنا ننتهى من ارتداء بدلة الخروج فنقف أمام المـرآة لننظر الى النتيجة ، لنرى ان كان هنـاك عوج فى الجاكتـة ، أو انحراف فى الكرافتـة ، أو رعونة فى البنطلون ، توطئة لتقويم ما نجد من نقص او اعوجاج .

وكنا – حيث نقف مفتونين أمام المرآة – نمد يدا فنضعها فى جيب البنطلون لنرى أثر هذه الحركة على الجاكتة ، ثم نمد يدا أخرى ونضعها فى جيب الجاكتة لنرصد أثرها على البنطلون ، واقفين أمام المرآة مرة بوجهنا ومرة بجنبنا ، ومرة بظهرنا وفى يدنا مرآة اضـافية صغيرة نستعين بها على أخذ فكرة واضحة فى المرآتين عن مشهدنا الخلفى . كل ذلك بالطبع ليس تضييعا للوقت ، وانما سـعى وراء التـأكد من أننا نستمتع بتلك الخاصية الكسائية التى يسـمونها بالوجاهة ، مدفوعين باحساس راسخ بأننا قد نخرج بغير استكمال الخاصية المذكورة فتحدث لنا فى الطريق مصائب كثيرة ، بل ربما حدثت المصائب للطريق نفسه .

ومع ذلك – بيننا وبينك – نصارحك القول بأننا لم نفترق عن المرآة المذكورة قط وقد خلت نفسنا كل الخلو من شك أليم فى تحقيقنا لصفة الوجاهة ، ذلك الشك الذى نعامله كالميكروبات السامة ونستخدم كل ما أوتينا من الكرويات الحمراء والبيضاء فى قتله فورا وحالا وعاجلا ، ناظرين الى المرآة التى سولت لنا مثل هذا الشك فى رثاء شديد لها ، قائلين لنفسنا انه مهما كان من

أمر فالمرآة لا تزال اختراعا جديدا ينقصه الصقل .

ثم مرت الايام – ما أسرع ما تمر – وكان كل يوم منها يعطى حقنة مقوية للشك سالف الذكر ، حتى وقفنا ذات صباح أمام المرآة فاذا بصوت فى أعماق نفسنا يقول لنا فى صراحة لم نعهدها فى أى صوت آخر :

– يا أستاذ .. حضرتك مبهدل !

ذلك الاخطار الذى ظنناه موجها لغيرنا فقلنا متسائلين :

– احنا ؟ ..

– أيوه أنتم .. بهدلة تامة ومافيش أى أمل فى الوجاهة ..



فاجتاحتنا مدى دقائق دوامة عنيفة من اليأس الاصفر فى بحر من المرارة السوداء الى جانب عدد من العواطف الاخرى ذات الالوان المختلفة ، الى أن غلب علينا الفهم والادراك بعد حين فما لبثنا أن قلنا للصوت الذى كلمنا فى استسلام :

ـ أنت عاوز الحق يا صوت ؟ .. كل كلامك فى محله ..

وللفور ـ بدون أدنى تردد أو أسف ـ قررنا التخلى عن كل محاولة فى سبيل تحقيق الوجاهة من يومها الى الابد .. فما الفائدة ؟

ان ثيابنا ـ لسبب ما ـ تختلف عن ثياب سائر الناس ، وخذ الكرافتة مثلا .. ان كل الناس يربطون الكرافتة حول عنقهم فتظل مربوطة هناك ، فى النقطة التى حددوها لها تحت تفاحة آدم مباشرة، متدلية فى منتصف فتحة الجاكتة فى خط عمودى مستقيم ، منتهية الى النقطة التى تهدف اليها كل كرافتة عاقلة الا وهى توكة الحزام ، وهذا بالطبع اذا كان اسمها توكة .

وليس ذلك حال كرافتتنا ، اذ لا نذكر أننا عقدنا عقدتها يوما تحت تفاحة آدمنا الا وفوجئنا بها بعد لحظات تحت احدى أذنينا غير بعيد من قفانا ، كأن عنقنا مدهون بالفازلين أو كأننا ركبناها ـ قاتلها الله ـ على مجموعة من رمان بلى ، فاذا ما تابعناها فى مع تقلص فى طرطوفتها والتواء الى أعلى ورفض تام للاستقامة ، تدليها وجدناها تدور حول صدرنا متجهة الى ظهرنا لغرض لانعرفه، كأننا لم نلبس كرافتة وانما لبسنا لعبة من لعب الاطفال التى يسمونها بعفريت النسوان .

والجاكتة فى معاملتها لنا لا تقل فى تمردها عن الكرافتة ، اذ نلبسها وتقف أمام المرآة فلا ندرى لماذا يخيل الينا أننا ننظر اليها معلقة على شماعة . ففى أحد جانبيها انشمار غريب الى أعلى ، وفى الجانب الآخر تهدل يكاد يصل الى مستوى الركبة ، كأنها مصابة بعقدة النقص وتريد أن تثبت للناس أنها ليست جاكتة وانما بالطو

وسيبك أنت من الجاكتة واهبط معنا قليلا الى البنطلون ، لكى نقدم لك فيه كائنا لا نذكر أننا لاقينا له شبيها بين الكائنات فى شدة التأثر بقوة الجاذبية الارضية . اذ نربطه بالحزام ونسير بضع خطوات فنحس به ينزلق على خصرنا ويتدلى مع كل خطوة ، ونشمره فيتدلى من جديد ، وكل مرة نشمره فيها يجذب القميص معه الى أعلى ، فنعيد دفع المذكور الى موضعه وهكذا دواليك ، الامر الذى ربما دفعك الى التساؤل لماذا لا نشترى لنا حمالة بدلا من الحزام ، وهو ما نفعله باستمرار طوال السنتين الماضيتين .. حمالة جديدة نشتريها كل شهر بسبب ما يكون قد أصاب القديمة من التهتك لشدة مقاومتها للجاذبية الارضية .

والشراب أيضا يزعجنا ، بسبب ميله الغريب الى الانسياب من ساقنا والتسلل الى قلب الحذاء ، متحولا هناك تحت أصابعنا من شراب الى كرة شراب ، وهذا الى جانب قدرة غريبة فى حذائنا على جمع أتربة تجعل تلميعه جهدا ضائعا ، مع ولع مرضى فى بوزه بالالتواء على نفسه والتطلع الى أعلى كأنه يريد أن يرى من الذى يلبسه .

هذا عدد من قطع الملابس عرضناه عليك لكيلا تلومنا على ما تخلينا عنه من محاولة تحقيق الوجاهة فى ملبسنا ، وهناك بالطبع قطع أخرى نلقى منها مثل ذلك وأكثر ، ولكن الحديث عنها كما ترى يحتاج الى أن نعطيك موعدا خاصا ، وهو حديث نعفيك منه لما نظن أنه سيسبب لك (اللهم الا اذا كنت سيدة) من حرج كبير .

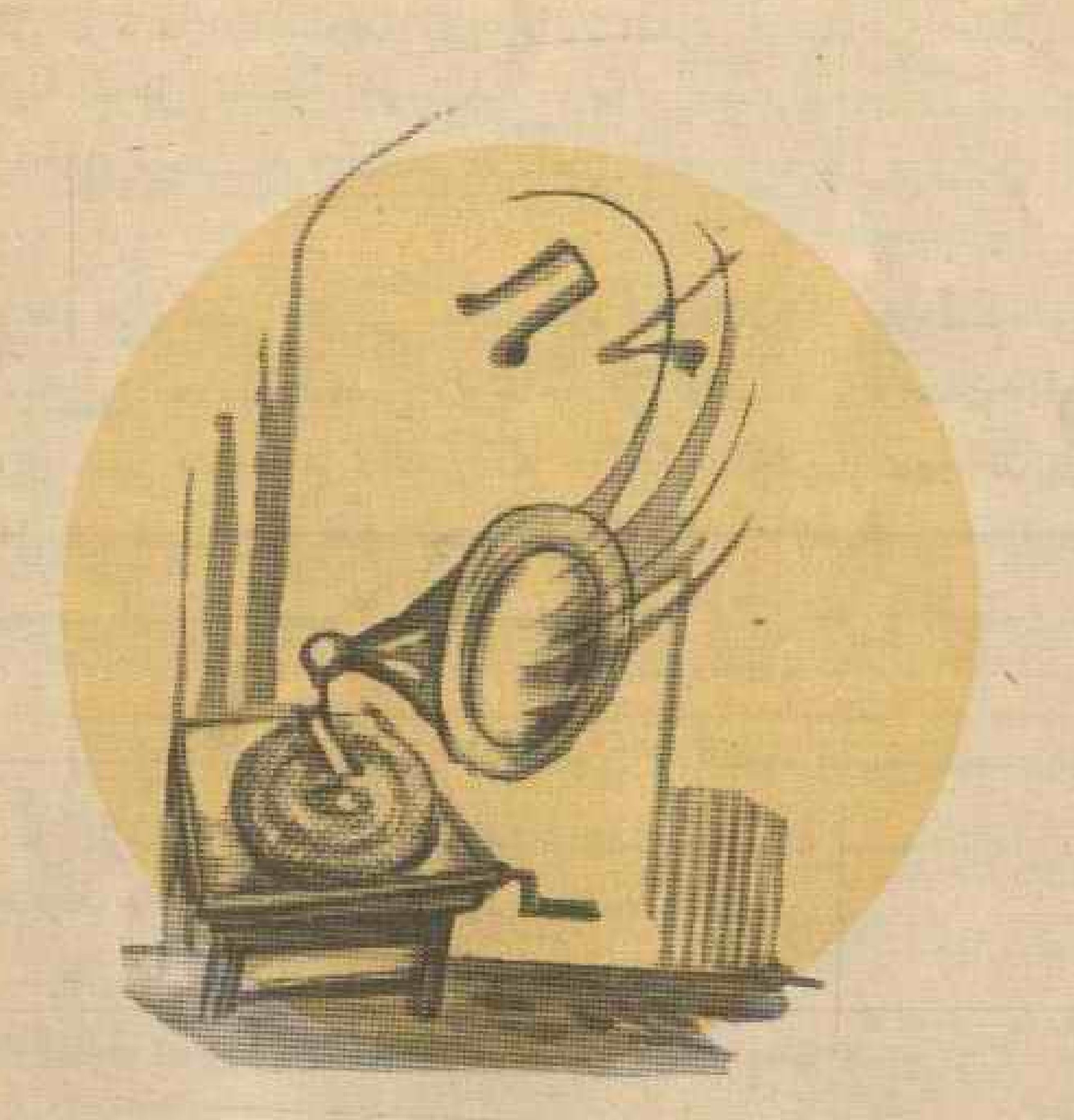
بسبب الزحام

على الرصيف المزدحم بالاف المارة والمتسكعين سارت سيدتان ، وما لبثت واحدة منهما أن تأففت فى استنكار وقالت :

ـ يا ساتر .. الزحمة دى كلها بتيجى منين ! .

وبسطت ذراعيها امام جسمها لتحمى من الزحام بطنها المنتفخ !

الضجة السيمفونية



« من المستبعد جدا حصول أى علاقة عاطفية بين كمان وكلارينيت »

هل قابلت أنثى مصرية تحت الموسيقى السيمفونية ؟ لست أعنى الانثى التى تذهب الى دار الاوبرا ـ حيث الحفلة السيمفونية ـ لكى تعرض بالطو الفرو الجديد وتقارنه بسائر البلاطى الموجودة فى سائر اللوجات خلال منظارها المكبر .
كلا ولست أعنى الانثى التى تجلس فى أول صف من المسرح لكى تلعب حواجبها لعازف الكمان الاول كلما اتجهت عينه نحوها .

ولا أنا أتكلم عن الانثى التى تشترى لنفسها بيك آب من آخر طراز ومعه مائة سيمفونية لكى تكون متمشية مع آخر موضات البيوت الراقية .

بل اننى لا أتكلم عن الانثى التى تقيم فى بيتها حفلات موسيقية تضم هذا البيانست أو ذاك الثلاثى وتجلس بين ضيوفها بادية الانصات الى الموسيقى فى حين أنها تفكر فى بيتها كم هو راق وفنى وجميل .

لست أفكر فى واحدة من هؤلاء وأنا أتكلم عن الانثى التى تحب الموسيقى السيمفونية ، وانما أفكر فى الانثى ان وجدت فهى نادرة المثال حقا ،تلك الانثى التى تذهب الى الكونسير لانها تريد أن تستمع اليه ، والتى تشترى البيك آب لا لانه مناسب لديكور شقتها وانما لانه لا غنى عنه فى الاستماع الى السيمفونيات فى اللحظة التى تختارها ، فى تلك اللحظات الحرجة التى يحس فيها الانسان المتحضر بأنه « يتوحم » على هذه القطعة أو تلك من الموسيقى السيمفونية ، وأنه سيجن ان لم يلحقوه بها حالا وفورا .

تلك هى الاننى التى اتحدث عنها ، فهل قابلتها ؟ أنا شخصيا لم أتشرف قط بمقابلتها ؟ ولا أظن أننى سأفعل أبدا .

لقد عرفت أناثا يسيل لعابهن وهن يستمعن الى أغانى عبدالوهاب وعبد الحليم والاطرش ، ويتنهدن ويمصمصن شفاههن وتتوه نظراتهن عند آفاق مجهولة سحرية فى جدار الحجرة ، أو فى سقفها اذا كن يستمعن فى حالة تمدد .

وقد عرفت أناثا تهتز خصورهن من تلقاء نفسها وهن يستمعن الى « هنك » عبد المطلب ويطرقعن بأصابعهن مع الايقاع توطئة لان يصفقن بقوة عند آخر الموال وهن يهتفن قائلات يسلم فمك يا طلب يا عترة !

وهذا — طبعا — الى جانب من عرفت من البنات اللاتى ينظرن الى هذه الالوان الشرقية من فوق الى تحت وهن يستمعن الى أنغام التانجو أو غيرها ، من فوق كتف الواد الحلو الذى يجول بهن فى حلبة الرقص ويهمس فى آذانهن بكلمات مناسبة للمقام .

ان هؤلاء الاناث لسن عاشقات للموسيقى ، وانما عاشقات لما تثيره فيهن تلك الموسيقى من احساسات جنسية أو شبه جنسية ، بانغامها المشبعة بالتوابل ، وكلماتها المشبعة بالتلميحات الحراقة ، والاصوات اللزجة المتأوهة التى تؤدى كلا من الكلمات والانغام .

لذلك لا يجدن أية متعة فى الاستماع الى الموسيقى السيمفونية التى لا تحتوى على أى كلمات يؤديها ذكر ولهان أو أنثى جائعة . فكيف يتاح لهن أن يستخرجن تلك المتعة شبه الجنسية من جملة موسيقية تؤديها آلات الاوركسترا المصنوعة من الخشب والنحاس ، حتى ولو تضمنت تلك الجملة أجمل المحاورات بين مجموعات الكمان والكلارينيت ؟ انها محاورة لا تحرك فيهن أى وتر فنى اذ يعلمن جيدا أنه من المستبعد جدا حصول أية علاقة عاطفية بين كمان وكلارينيت .

لذلك لا يكتفين — أولئك الاناث — بذلك التعلق المرضى بالالوان الموسيقية المذكورة أعلاه بل يشتركن جميعا فى الكراهية الايجابية لكل ما عداها من الالوان لا سيما الموسيقى السيمفونية ، مؤكدات أنها فن سخيف ممل يجب اهماله كلية ، بل يجب اذا أمكن الغاؤه وتحريمه وتوقيع العقوبة على كل من يذيعه أو يستمع اليه .

— ايه الدوشة دى ؟ أنا دماغى ح تنفلق .. أنت عاوز تجننى ؟!

هذه عينة من التعليقات الحريمى التى خرجت بها فى كل مرة سول لى الشيطان فيها أن أدير احدى السيمفونيات فى محضر أنثى مصرية ، بما فيهن زوجتى طبعا .

انها — زوجتى — لا تكتفى باستبعاد الموسيقى السيمفونية من قائمة الفنون الجميلة ، بل تميل الى ادراجها فى قائمة مختلفة كل الاختلاف قائمة الاحداث السياسية التى تدخلت فى رسم تاريخ اوروبا الحديث .

قالت تسألنى متحدية :

ـ اشمعنى أوروبا هى اللى فيها دول استعمارية ؟

وبقولى اننى لا أعرف قالت فى انتصار :

ـ لانها هى اللى اخترعت الموسيقى السيمفونية !

وشرحت لى فلسفتها فى هذا الصدد ، كيف أنه ما بين الالحان الجافة التى صنعها هاندل وباخ ، والالحان المملة التى تبعهما بها موزار وهايدن ، والضجة العنيفة التى سادت بعد ذلك فى الحان بيتهوفن وبرامس ، تلك الضجة التى حولها فاجنر الى لون صريح من التعذيب ، لم يعد أمام الشعب الألمانى التعس الا أن يهج من البلاد كلها ويحاول الانتشار فى الدول المجاورة التى لا توجد فيها موسيقى سيمفونية ، تلك المحاولة التى ـ بما لقيت من استنكار أهل تلك الدول ـ كانت سببا فى كل الحروب التى مزقت أوروبا طوال القرن التاسع عشر . وبوصول هذه الضجة السيمفونية الى بريطانيا ، وظهور ملحنين انجليز يقلدونها ، بدأ الانجليز بدورهم يهجون من بلادهم ، الامر الذى يفسر لك السر فى ضخامة الاسطول البريطانى ، ذلك الاسطول الذى كان لازما لحمل الالوف التى خرجت هاربة من الدوشة السيمفونية واستطاعت أن تصل ـ امعانا فى الهرب ـ الى قارة نائية كاستراليا .

وكذلك الحال بالنسبة لايطاليا التى لولا الضجة الرهيبة التى حطمت أعصاب سكانها فى شكل أوبرات لفردى وبوتشينى ـ لما فكر الايطاليون فى غزو ليبيا والحبشة وما اليهما من البلاد التى ما زالت بمنأى عن الصخب السيمفونى الحديث .

هؤلاء هن الاناث اللواتى قابلتهن أنا ، وليس بينهن تلك التى تعرف قيمة الموسيقى السيمفونية فهل قابلتها أنت ؟

ليتك ـ يا شيخ ـ تقابلها وتقدمها الى ، فلست أشك فى أن سهرة واحدة معها يمكن أن تكون لى بمثابة الذخيرة العاطفية التى تكفينى مدى الحياة ، اذ أجلس بجانبها ـ والبيك آب شغال ـ لكى

أرقب الرقة التى تسيل من وجهها على سيرينا دنشوان لتشايكوفسكى ، أو السرور الوحشى الذى يلتمع فى عينيها الزرقاوين (لايجوز لانثى تحب الموسيقى السيمفونية ألا تكون عيناها زرقاوين) على مازوركا لشوبان ، أو الاضطراب الذى يحيق بصدرها بين ارتفاع وانخفاض على الاليجريتو من السيمفونية السابعة لبيتهوفن ، أو الخضة التى تصيبها على نغمة (ما كابر) لشتراوس فتتشبث بعنقى فى ذعر فنى جميل .

نعم انها كانت تكون سهرة خالدة فى تاريخى العاطفى ، وياحبذا ـ على سبيل المساعدة ـ بزجاجة من الشمبانيا التمس فيها عذرى عندما أنسى فى آخر الامر أن أغير الاسطوانة ، وأترك الابرة تلف على الفاضى حتى مطلع الفجر .

***

خواطر صيفية

بعض الناس يحبون البحر كعامل من عوامل تخفيف الحر ، وبعضهم يحبونه كعامل من عوامل التعرية .

هل سمعت بالرجل الذى عدل عن الذهاب الى المصيف ، مكتفيا بشراء مجموعة من الصور العارية .

قد يعجبك اللون البرنزى الذى تعود به الفتاة من المصيف ، ولكننى أنا شخصيا أفضل المواضع البيضاء .

أيهما أذكى ؟

من حيث استغلال عباطة الاخرين اعتقد ان النصاب لا يمكنه ان يرقى الى مستوى الشحاذ ! فالنصاب مضطر الى ان يضحك عليك بنفسه ، اما الشحاذ فهو يتركك تضحك على نفسك بنفسك .

***

باب

بالنسبة لبعض الابواب التى يكتبها بعض الكتاب فى بعض الصحف اقترح آن يكتب فى اعلى ذلك الباب : باب كذا .. يكتبه ويقراه فلان الفلانى !

السيمفونية الصاعقة



«... دعك من الرجل الذى طب ذات ليلة ميتا من شدة تأثره بتلك الجملة الموسيقية التى يشترك فى عزفها نفيران وناى وست طبلات ..»

نعم

- قلت لنفسى ثانية هذا الصباح - ليتنى كنت موسيقيا . فأول كل شىء أننى لم أكن لاحتاج - لو كنت موسيقيا - الى أن أحلق شعرى أكثر من مرة فى العام ، تلك الرخصة التى لو لم يكن فى فن الموسيقى سواها لكانت حسبى من ميزات ذلك الفن ..

وأنا لا أريد أن أكون بيتهوفن آخــر . كلا ، فلست أحب عندما أمتنع عن حلاقة شعرى أن يكون ذلك بسبب أننى لا أملك أجر الحلاق . انما أريد أن أكون مزيجا من بيتهوفن على عبد الوهاب ، لكى أضمن أن تكون عماراتى بعدد سيمفونياتى . دى عمارة صول ماجير ، دى عمارة فامينور ، وأهى تمشى .

ولست أريد أن أعيش وراء الكواليس فى الظلال ، بل أريد فى المزيج سالف الذكر (بيتهوفن عبد الوهاب) نقطة من عبقرية توسكانينى ، لكى أقف فى الضوء على قمة مجدى الفنى ، دعك من توفير أجرة المايسترو .

البـداية

تخيل هذا المزيج السحرى موضوعا فى البدلة السموكنج الفاخرة ممثلا فى شخصى - تخيله داخلا الى خشبة المسرح حيث ينتظره ثلثمائة عازف وثلاثة آلاف متفرج ، اذ يروننى داخلا فيشرعون فى عاصفة من التصفيق الحاد الذى يكاد يطير له سقف المسرح ، فأنحنى أنا فى ذلك التواضع الكاذب الجميل ، وفى أثناء انحنائى أجول ببصرى فى الصف الاول (أبو عشرة جنيه الكرسى) حتى أعثر على

تلك الشقراء المثقفة التى أستنتج ثقافتها من حالة كونها موجودة هناك ، بجانب زوجها الغنى بدليل دفعه عشرين جنيها ثمن التذكرتين .

الى الشقراء المثقفة أوجه ابتسامة جانبية صغيرة تشعرها بأهميتها، والى زوجها أوجه ابتسامة قاسية تشعره بحقارته ، ثم أعتدل فى وقفتى راجيا من الجمهور أن يكف عن التصفيق ولكنه لا يكف فأنحنى ثانية ، نحوا من ربع ساعة حتى أشعر بوجع فى عمودى الفقرى ، فاعتدل فى وقفتى وأرفع يدى نحو الجماهير المفتونة ببسمة عتاب رقيق أقول لهم :



— موش كده يا جماعة .. صحيح لكم حق تتهوسوا وانتم شايفين بيتهوفن وعبد الوهاب وتوسكانينى فى بدلة واحدة .. لكن أنا ظهرى وجعنى ، هه ؟

فيختشون ويسكتون ، وأعطيهم أنا ظهرى لكى أنقر بعصاى نقرتين رشيقتين على الحامل الخشبى للنوتة ، تلك الحركة التى ما أكاد أقوم بها حتى يخيم على المكان صمت كصمت القبور ، توطئة لان أرفع ذراعى الى أعلى معلنا عن قرب ابتداء العزف ، غير منزل اياهما — ذراعى — لمدة ثلاثة دقائق على الاقل ، لكى أستمتع بآلاف الانفاس المكتومة فى الصدور وراء ظهرى ، وبالثلثمائة عازف الذين يتململون من اللهفة أمامى ، لا سيما عازف النفير الذى نفخ شدقيه بالهواء وبدا أنه يوشك على الانفجار فى أية لحظة قبل أن أعطيه الاشارة فيكون فى ذلك خراب بيته .

وأخيرا أعطى تلك الاشارة فيبدأ فى الشغل خمسون عازف كمان .. نحوا من سبع وعشرين ثانية ونصف الثانية قبل أن أشير الى نافخ النفير بأن ينفجر فينفجر ، ثم الى ضارب الطبل ،ثم الى عازف الناى ، ثم الى الواد البيانست اذا وجد . كأننى رمسيس جبار يقود عربة يجرها ثلاثمائة حصان ، أو كأننى سليمان يحرك فرقة من الجن ، أو كأننى اله اغريقى يقوم باجراء يؤسفنى الا أذكر تفصيلاته لاننى لا أعرف أى شىء عن الاساطير الاغريقية .

عشر دقائق من الموسيقى الصاخبة التى تؤلف الحركة الاولى من سيمفونيتى ، والتى تنتهى فاسمع تصفيقا من ذلك الرجل الغبى الذى يوجد فى كل مسرح ويجهل أنه لا يجوز التصفيق بين الحركات ، ولذلك يضربه جاره بكوعه لكى يسكت فيسكت وهو يتصبب عرقا .

وبنظرة ساخرة من فوق كتفى أكتشف أن ذلك الرجل هو الثرى زوج الشقراء المثقفة ، وأستنتج من هذا مدى ثقافة تلك السيدة اذ أجبرته على الحضور للاستماع الى كالجردل وهو لا يفهم فى السيمفونيات ، وذلك توطئة لانتقالى الى الحركة الثانية .

انها بطيئة هادئة شاعرية ـ تلك الحركة الثانية ـ يمترج فيها همس الفلوت بأنين الكلارينيت بتاوه المستمعات ، لا سيما تلك الشقراء المثقفة التى أسمع من تأوهها ما يجعلنى لا استبعد بالمرة أن تعمد الى طلب الطلاق من زوجها قبل وصولى الى آخر السيمفونية.

وتليها الحركة الثالثة التى تمتاز بروح الفكاهة العالية ، اذ أشغل المستمعين بنغبشة وتربة خفيفة لمدة ثلاث دقائق ، ثم أفاجئهم ـ من حيث لا يتوقعون ـ بطرقة موسيقيه شديدة تجعلهم يقفزون من مقاعدهم ، أو أفاجئهم خلال الالحان المبتكرة التى يسمعونها لى بجملة موسـيقية يعرفونها لبتهوفن أو موزار ، اذ أن فى ـ كما تذكر ـ عرقا من عبد الوهاب .

وبانتهاء الحركة الثالثة أتريث حينا لكى أسمح لذلك الرجل المصاب بالربو فى البلكون بأن يخرج السعلة التى يختنق بها من الحركة الاولى ، ثم أبدأ فى قيادة الحركة الرابعة والاخيرة ، تلك الحركة التى كانت سببا فى تسـمية النقاد للسيمفونية كلها بالسيمفونية الصاعقة ، بسبب الاغماءات التى تحدث أثناءها بين الجمهور لا سيما الجنس اللطيف ، دعك من الرجل الذى طب ذات ليلة ميتا من شدة تأثره بتلك الجملة التى يشترك فى عزفها نفيران وناى وست طبلات .

النهـاية

وقبل انتهـاء السيمفونية بخمس ثوان أسمع تصفيق الرجل الغبى ـ زوج الشقراء المثقفة ـ وقد ظن كعادة أمثاله أنهـا قد انتهت ، ويعقبه تصفيق آلاف الحاضرين عندما تنتهى فعلا ، ذلك التصفيق الذى تتراوح مدته فى المعتاد بين نصف ساعة وخمس وأربعين دقيقة ، وأنا أنحنى وأعتدل وأنحنى وأعتدل ، وأشير الى العازفين آل يعنى البركة فيهم ، حتى أزهق فاجلس وأضع ساقا على ساق ، متثائبا حينا أو مدندنا لنفسى ، أو متناولا رواية بوليسية لاقرأ الفصلين اللذين تبقيا فيها منذ الحفلة السابقة .

وأخيرا أقرر أن أنصرف وأتركهم يصفقون ، قاصدا الى سيارتى البنتلى التى اشتريتها من كونشرتو الطبلة رقم واحد ، حيث أفاجأ فى ركن السيارة المظلم بصوت ناعم يقول لى :

ـ أخيرا جيت يا حبيبى ؟

واذا بها الشقراء المثقفة اياها وقد تركت زوجهـا فى المسرح ليصفق وأتت لكى تسوق الى عبـارات التهنئة والاعجاب ، تلك العبارات التى ربما استغرقت وقتا أطول من اللازم ، فى ضـوء القمر الذى يلمع على شعر صديقتى المثقفة الشقراء ، مثلما يلمع على ظهر السيارة البنتلى السوداء حيث تقف ـ بعد ربع ساعة ـ فى الشارع المقفر أمام باب عمارتى الفاماجير .

انواع البيوت

اذا سمعت عن بنت تضبط فى منزل سيء السمعة ، فهذا فى الغالب لايرجع الى شيء سوى أنها قد تربت فى بيت سيء التغذية :

★ ★ ★

اذا عرف الناس

اخبرنى صديقى انه قضى بالامس سـهرة ممتعة جـدا أمام التليفزيون فقلت اسأله :

ـ كان فيه فيلم !

فقال لا .

ـ كان فيه مسرحية !

قال لا .

ـ كان فيه مسلسل اجنبى !

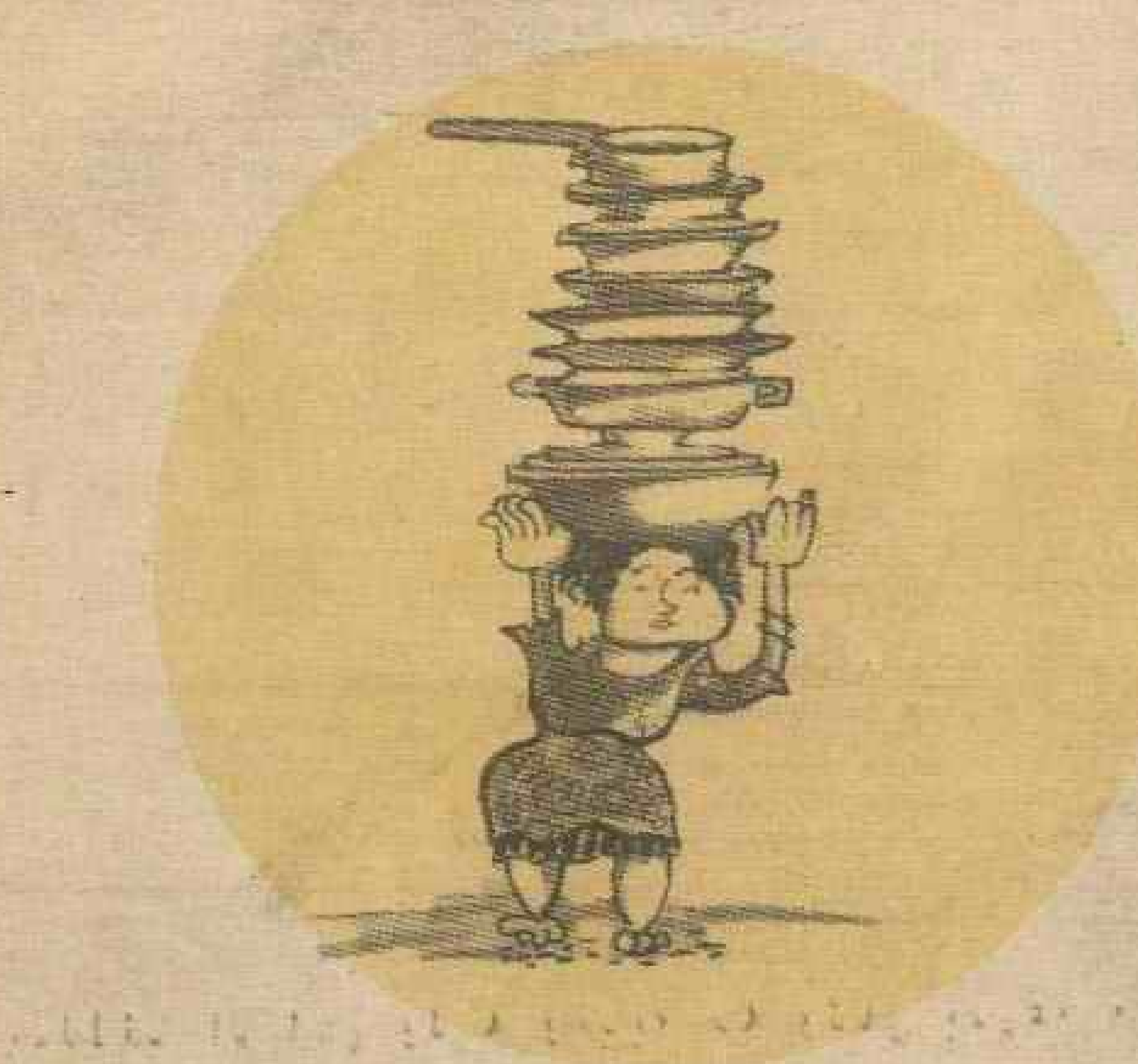
قال لا .

ـ امال كان فيه ايه !

قال :

ـ كان خسران !

زوجتنا والخدم



« لا يجوز السماح للخادم بالدخول قبل
ثلاث نحنحات على الاقل »

ليتني كنت من علماء النفس أو الاجتماع أو الزولوجيا لكى أتمكن من اكتشاف السبب الذى من أجله تكره السيدة زوجتنا كل أصناف الخدم ٠ انها لا تكرههم بمعنى أنها لا تستخدمهم — كلا — فان عندها على الدوام اثنين منهم ، فهى تكرههم وتستخدمهم ، بحيث اننى لا أدرى على وجه التحقيق ان كانت تكرههم لانها تستخدمهم ، أو تستخدمهم لكى تكرههم ، أو ماذا ٠٠

اذ أسمعها تنادى الخادمة التى أخطرك من البداية أنها هبلة شوية ، قائلة :

— يا نفيسة ٠٠

فاجد فى لهجة النداء معنى من السآمة الشديد مع حد أدنى من الغيظ ، كأنها فى الواقع تقول لها يا مصيبة ، أو يا قطيعة ، أو يا داهية ، أو أى كلمة أخرى بهذا المعنى ٠٠

حقا انها — نفيسة — لم تعمل أى حاجة وحشة ، ولكن زوجتنا تعرف حتما أنها ستعمل حاجة وحشة ، ولذلك تشعر بالغيظ وتكرهها مقدما ٠

وتأتى المذكورة قائلة نعم ، فتقول لها زوجتنا بنفس الغيظ :

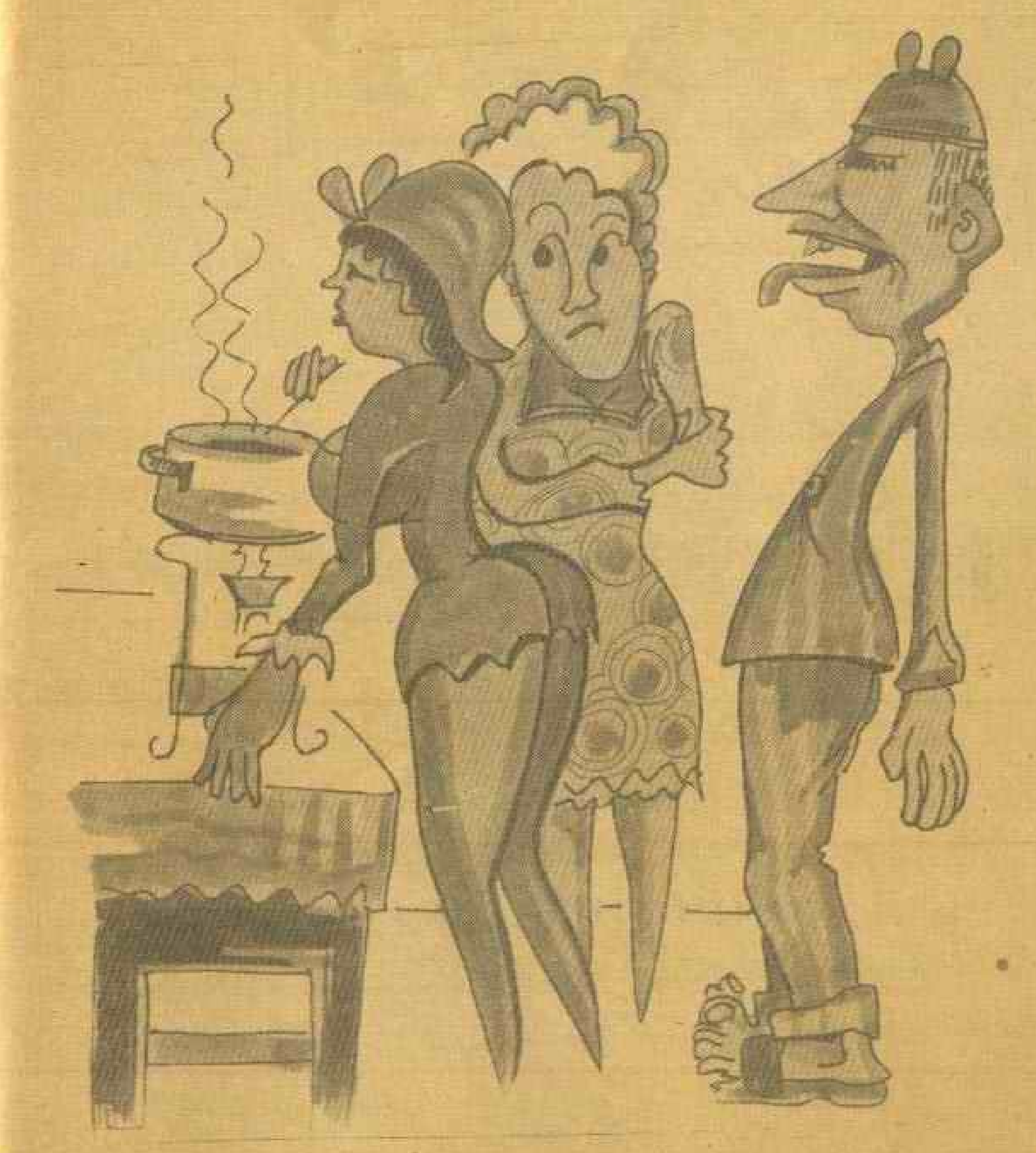
— هاتى صحن فاضى ومعلقة وشوكة وحتة جبنة من اللى فى الثلاجة وقزازة الزيت اللى فى النملية ورغيف عيش والملاحة وسلطانية الزبادى ولمونة وكباية مية وتعالى بسرعة ٠

وهى تملى هذه البيانات بسرعة شديدة تتناسب مع غيظها ، بنتيجة حتمية هى أن تغيب الخادمة خمس دقائق — وهى كما قلت

لك هبلة شوية – ثم تعود بالشيء المنطقى بالنسبة لها فى مثل هذه الظروف وهو : كباية مية !

يا بنت الكلب (تخاطبها زوجتنا) أنا قلت لك كباية ميه بس ؟ أنا قلت لك ٠٠ وتسرد القائمة من جديد بسرعة أكثر تتناسب مع غيظها الذى صار أكبر ، بحيث تحضر الخادمة الاشياء المطلوب منها فى عشرة مشاوير بدلا من مشوار واحد ، وسيدتها جالسة تغلى من شدة الغيظ ٠

ومن المواقف التى تتضح لى فيها تلك الكراهية موقف تسليم فوطة أو قميص قذر من يد زوجتنا الى يد الخادمة ، اذ تقول لها :



– خدى يا بت حطى دى فى الغسيل ٠٠

فتمد البت يدها لتأخذ الفوطة ، ولكن زوجتنا ليست مجنونة طبعا لكى تعطى الفوطة لليد الممدودة ، لان تسليم الشيء يدا بيد يستلزم نسبة من المودة ليست متوفرة لديها ، ولذلك تقذف بالفوطة فى الهواء بعيدا عن اليد الممدودة ، بحيث تحتاج الخادمة فى التقاطها الى قدر من المهارة لا يقل عن القدر الذى يحتاج اليه حارس المرمى وهو يصد كرة مصوبة اليه من بيليه ٠ وبما أن الخادمة لا تحتكم على تلك المهارة فالنتيجة الحتمية هى سـقوط الفوطة على الارض ، ذلك الحادث الذى يزعج زوجتنا بالطبع – خصوصا وانها كانت تتوقعه – ولذلك تصيح فيها قائلة :

– حتى الفوطة موش عارفة تمسكيها ؟ جتك البلا ٠٠

وكذلك الحال عندما يحدث الموقف العكسى موقف استلام زوجتنا الفوطة النظيفة من يد الخادمة بعد غسلها ، اذ تمد الخادمة يدها بالفوطة الى زوجتنا على أمل أن تتناولها منها ولكنها – زوجتنا – ليست مجنونة طبعا لكى تتناولها بهذه البساطة ، بل تجذبها بقوة شديدة فى اللحظة التى لا تتوقعها الخادمة ، بحيث يختل توازن المذكورة وتوشك أن تقع ، وذلك تحاشيا لقيام ما سلف ذكره من شبه المودة ٠

وكان عندنا فى ذات وقت خادم مذكر ، وكان يسـمع رنين الجرس فياتى كالاكسبريس ويندفع الى الحجـرة قائلا نعم ، ذلك الاسلوب الذى أثار استياء زوجتنا فقالت له :

– ما تبقاش تدخل زى المجنون كده ٠٠ قبل ما تدخل تقف بره وتتنحنح ٠

فصدع الواد بالامر ، وصار اذا سمع نداء يحضر ويقف بالقرب من الباب قائلا :

– احم !

هكذا اسمعه حيث يقف خارج الباب ، وهكذا تسمعه زوجتنا حيث جلست معى ، ولكنها ليست مجنونة طبعا لكى تسـأل عنه بهذه البساطة ٠

- احم !

هكذا يقول من جديد بصوت أشد ارتفاعا ، أسمعه أنا وأنتظر أن تناديه زوجتنا ولكنها لا تفعل ، الامر الذى يجعلنى أستنتج - فى نفسى - أن لهذه المسائل آدابا معينة لا أعرفها وأنه لا يجوز السماح للخادم بالدخول قبل ثلاث نحنحات على الاقل .

- احم !

هكذا يقول الواد لثالث مرة فتصيح به زوجتنا :

- ما تدخل يا واد .. مستنى أما نقول لك اتفضل ؟!

- مش حضرتك (يتساءل الواد) قلتى لى اتنحنح ؟

- مرة واحدة كفاية .. موش تقعد تتنحنح ساعة . يا فرحتنا بنحنحتك !

ولم يمكث الواد عندنا - بالطبع - الا مدة قصيرة ، وكان صوته عندما خرج مبحوحا أكثر مما يلزم لاى خادم مستقيل .

ولا ساعة تناول الادوية ، اذ تقول زوجتنا للخادمة :

- هاتى كباية يا بت .

فتذهب البت وتعود بكباية مية ، الامر الذى يغيظ زوجتنا بالطبع .

- يا حمارة (تخاطبها زوجتنا) .. أنا قلت لك هاتى كباية مية؟ أنا قلت هاتى كباية بس .. ابقى افتحى ودانك .. روحى اتنيلى ادلقيها ..

فتتنيل البت وتدلقها وتعود بها لكى تقول لها زوجتنا وهى تشير الى رف قريب :

- هاتى قزازة الدوا اللى قدامك دى ..

فتنظر الخادمة أمامها على الرف لترى نحوا من عشر زجاجات أدوية ، تلك المشكلة التى تحلها بأن تستتكر زجاجة وتحضرها لسيدتها .

- موش دى يا بهيمة .. القزازة اللى جنبها ..

وقد كان يمكنها أن تحدد لها أى الجانبين هل هو الجانب الايمن أو الايسر ، ولكن المسألة موش فوضى طبعا ، ومن هنا تكون ثورة زوجتنا الكبرى عندما ترى الزجاجة التى أحضرتها الخادمة اذ تصيح قائلة :

- الله يخرب بيتك .. عاوزانى أشرب بنزين ؟ .. ده بنزين موش دوا يا عامية . فتحى عنيكى وهاتى قزازة الدوا .. القزازة الخضرة الصغيرة اللى باشرب منها كل مرة ..

- دى يا ستى ؟

- أيوه هى .. هاتى ربنا يريحنى منك !

وتنتش الزجاجة من يدها نتشة عنيفة تترك الفلة فى يد الخادمة والزجاجة فى يد زوجتنا والدواء نصفه على الترابيزة ونصفه على السجادة ، الامر الذى يبلغ بزوجتنا الى ذروة الغضب ، وينتزع منها عددا من الشتائم لعلك تقدر الدوافع التى تمنعنى من ذكرها هنا ، تاركا اياها لخيالك الخصيب .

نعم ، لست أدرى لماذا تكره زوجتنا الخدم .

النسبية

من السهل جدا ان تجد نفسك وانت تسير فى الطريق وجها لوجه مع جبل من السكر ، وذلك بالطبع اذا كنت نملة !

★ ★ ★

لابسة الطرحة

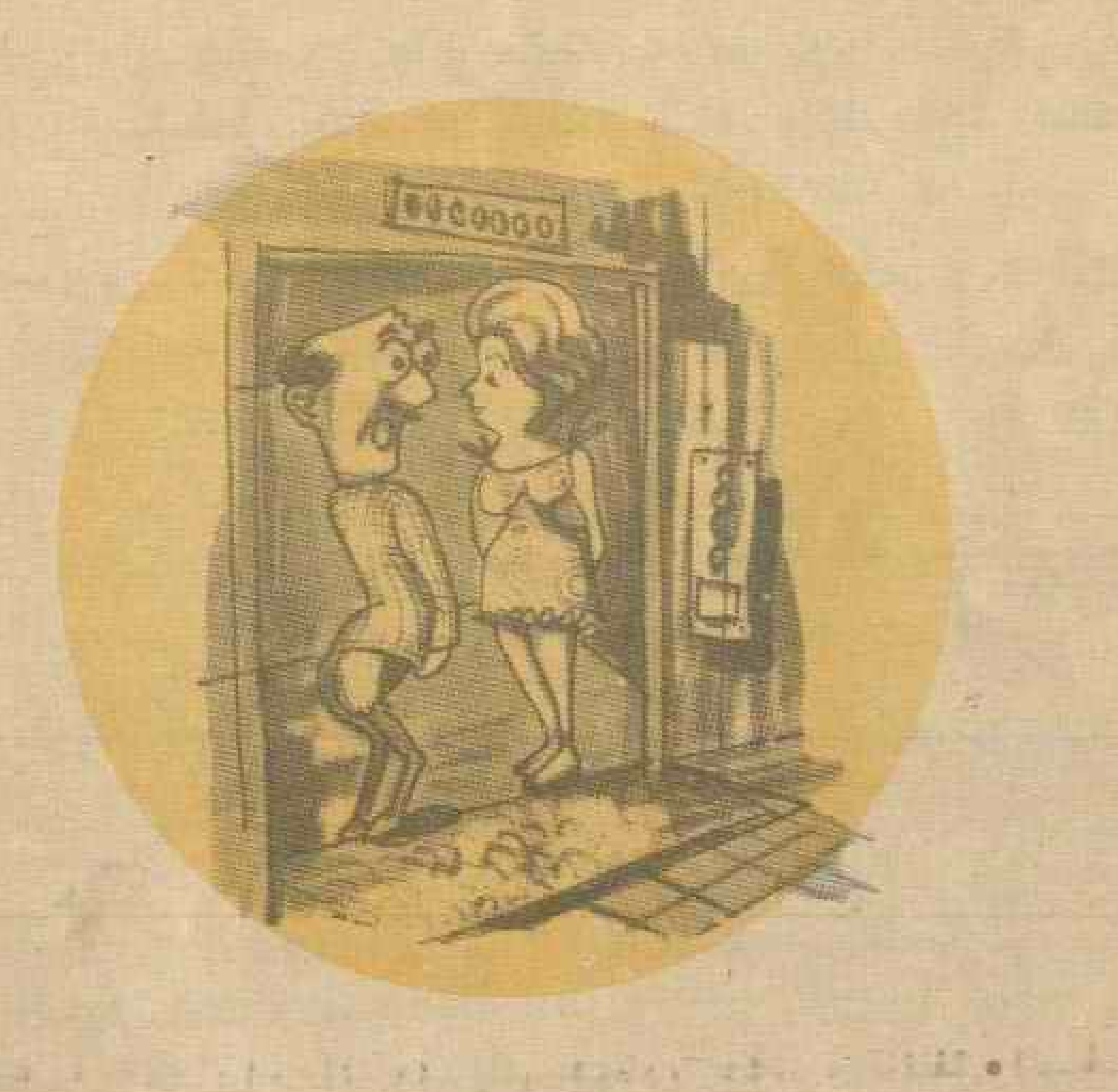
صدقينى يا فتاتى ان هذه الطرحة التى تخفين بها شعرك ووجهك لا تغير من الامر كثيرا ، فالرجـال - اولئك الاوغاد - قلما ترتفع ابصارهم الى تلك المناطق العالية !

★ ★ ★

الطالع والنازل

ما أحلى العد التصاعدى اليها ، وما ارذل العد التنازلى بعدها - سن الخمسين !

رحلة إلى السماء



« انت موش موجود .. انت موش هنا .. انت ما فيش » .

في ذاكرتي لقطة سينمائية للخواجة جورج ساندرز وقد وقف أمام باب الاسانسير ينتظر وصوله وبجانبه سيدة غريبة عنه تنتظر نفس الشيء ، اذ وجه اليها نظرة جانبية باسمة لحظتها واظهرت أنها لم تلحظها الا أنها ـ النظرة ـ كان مقدرا لها حسب السيناريو أن تزرع في قلب السيدة بذرة الهوى التي تترعرع منها شجرة الحب التي تدور حولها قصة الفيلم .

تنتظر وصول الانسانسير ، لا لانني أريد ـ لا سمح الله ـ ان تترعرع بيني وبينها علاقة حب من أي نوع ، وانما لانه لا بأس من أن يزرع الرجل بذرة الهوى في قلب السيدة من دول حتى ولو كان لن يراها ثانية ، لعلها تكون سيدة ذات حياة عاطفية خاوية فيزودها بذكرى طيبة تجترها في تلذذ على مر لياليها الطويلة الباردة .

ووصل الاسانسير فدخلت فيه أنا والسيدة ، وكان أسانسيرا من النوع المقفل الذي لا ترى منه أي مناظر خارجية ، والذي لا يقطع الروتين فيه سوى ما يظهر على اللوحة الخاصة من الارقام الحمراء التي تعرفك الى أي طابق وصلت ، وليس هذا هو المهم .

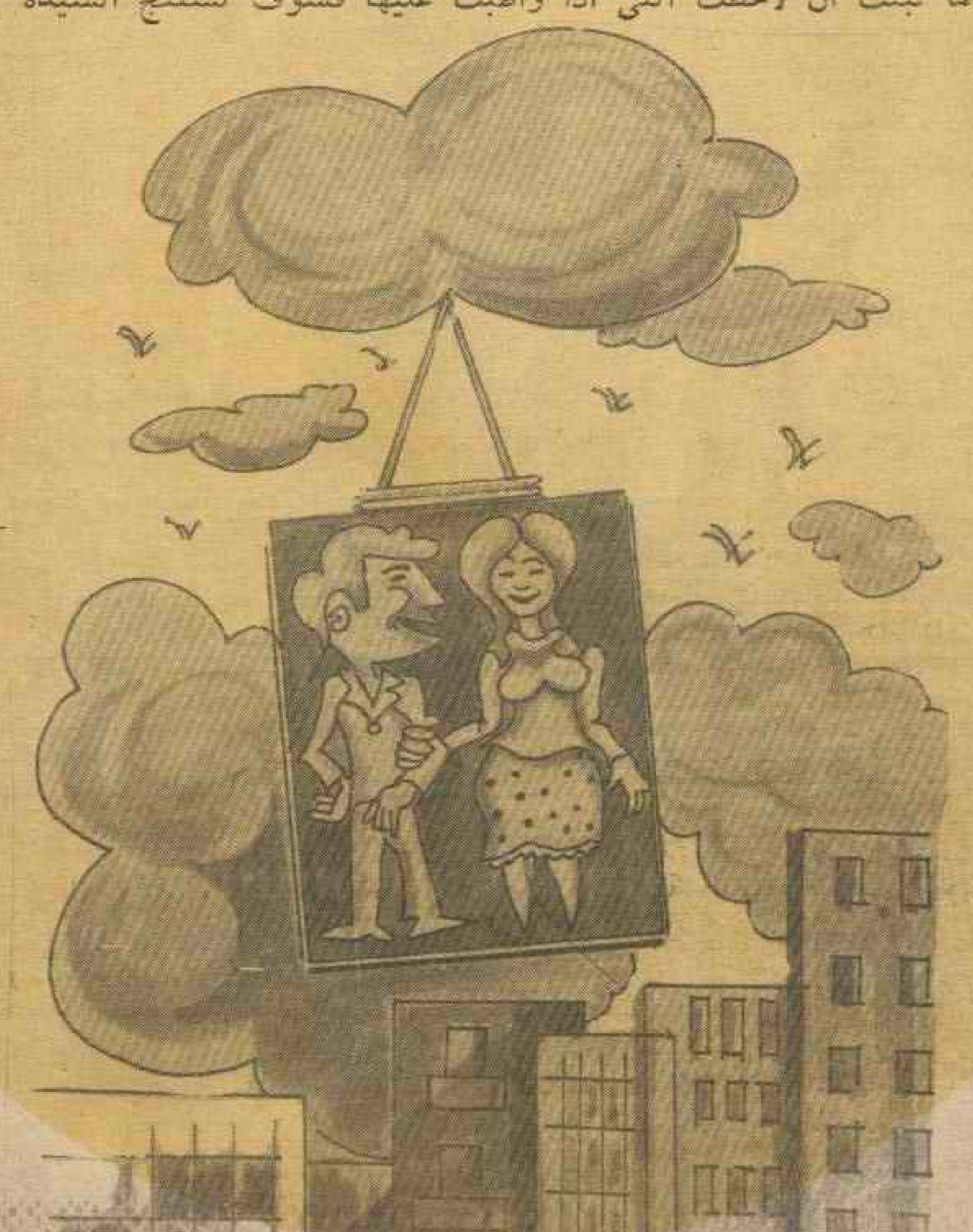
المهم أننا كنا ـ السيدة وأنا ـ وحدنا لا ثالث لنا (ولا حتى الشيطان الذي تلفت حولي فلم أجد له أي أثر) ـ اذ ضغطت هي على الزر العاشر وضغطت أنا على الزر الحادي عشر ، فانقفل الباب الاوتوماتيكي من تلقاء نفسه مؤذنا ببداية الرحلة الطويلة .

اين تنظر ؟

لم تكن رحلة ممتعة كما يخطر للذهن الخبيث ، بل كانت رحلة

ـ صدقني ـ متعبة جدا ، وذلك بسبب أن الرجل يحب أن يستخدم عينيه في النظر الى شيء ما . وأنه في مثل هذه الظروف الى أي شيء ينظر ؟

من الطابق الارضي الى الثاني نظرت الى الشيء الذي يجب أن أنظر اليه بداهة وهو السيدة نفسها ، بادئا بوجهها الذي وجدته هادئا رزينا فيه ـ رغم شبابها ـ نوع غير قليل من الجـلال ، ثم انحدرت من الوجه الى السيدة نفسها فسرني ما رأيت ، وعدت الى الوجه الجميل ثم الى الجسم ثم الى الوجه ، تلك الاجراءات التي ما لبثت أن لاحظت أنني اذا واظبت عليها فسوف تستنتج السيدة



أنني مجنون أو عبيط ، أو واصل فورا من جزيرة ليس بها نساء ، أو بعيد عنك ذئب ،تلك الصفات التي لا أحب أن تثبت عني في ذهن السيدة لانها ليست صفاتي ، فماذا أفعل ؟

أشحت بوجهي ونظرت أمامي الى جدار الاسانسير فما لبثت أن سمعت السيدة تقول في نفسها :

ـ ايه ياختي ده ؟ الراجـــل ده ماله مبحلق في الحيط كده ؟ يكونش شارب حاجة ؟

والواقع أنني تخيلت نفسي حيث وقفت محملقا الى الجدار فـلم تعجبني صورتي ووافقت السيدة على كلامها ، وارتفعت ببصري الى اللوحة التي تظهر عليها الارقام الحمراء ، فاذا استثنينا أن رقبتي وجعتني ، فانني ما لبثت أن سمعت صوت السيدة تقول في نفسها من جديد :

ـ شوفوا بيبصّ للنمر الحمرا ازاي .. ده يظهر ان عمره ما ركب أسانسير .. جته نيله ؟

فأصارحك القول بأنني اغتظت لهذه الملاحظة الاخيرة ، وصوبت الى قائلتها نظرة عابسة لا أدري ان كانت لحظتها أم لا ، وكنا وقتها قد وصلنا الى الطابق الثالث حيث وقف الاسانسير وانفتح بابه ولكن أحدا لم يدخل اليه ، الامر الذي فهمت منه أن شخصا ما قـد استدعاه ليركبه ثم غير فكره ، وليس هذا ـ برضه ـ هو المهم .

فتــرة حــرجة

المهم أن الاسانسير واصل رحلته الصاعدة وأنا بعد مغيظ من السيدة ، ذلك الغيظ الذي ازداد بسبب ما أرى من هدوئها الشديد ، من ثباتها في وقفتها الجليلة ، مصوبة عينيها الى شيء وهمي يسليها ويجنبها ما يساورني أنا من المشاعر القلقة التي أصفها لك .

ومما غاظني أكثر أنها لم تلق نحوي نظرة واحدة (رغم الكلام الذي تقوله عني في ذهنها) ـ تلك الموهبة النسائية التي تقلقني دائما ، موهبة اقناعك عن طريق تجاهلك بأنك غير موجود أصلا .

وبملاحظتي أنني قد عدت أحملق الى السيدة أشحت بوجهي وعدت أحملق أمامي الى الجـــدار ، ثم الى اللوحة التي أخبرتني دائما قد

وصلنا الى لطابق الخامس ، وهو الطابق الذى يثير فى دائما ـ بصرف النظر عن زملائى فى الاسانسير ـ نوعا من القلق الزائد الذى يظهر فى شكل ململة مستمرة ، اذ أكون قد تعبت من الوقفة المستقيمة فأستند بيدى على الحائط الايمن مع انثناء فى ركبتى اليسرى ، ثم استند على الحائط الايسر مع انثناء فى ركبتى اليمنى ، وفى خلال ذلك أضع يدى فى جيب البنطلون ولا ألبث أن أخرجها لكى أضعها فى جيب الجاكته ، تلك الحركة التى أصاب عندها بخيبة أمل راجعة الى عدم عثورى على جيب الجاكته بسبب أننى ألبس قميصا لا جاكته ٠

ماذا كان رأى السيدة فى تلك الحركات لا ادرى ، فيبدو أنها قد عبرت عن رأيها بصوت منخفض الى الدرجة المناسبة لهذا الرأى ٠

السر الغامض

ووصلنا الى الطابق السادس ـ ولم يبق أمامى سوى ثلاثة طوابق ـ لم يكن هناك بد من أن القى نظرة جديدة على السيدة ، الى عينيها على وجه التحديد ، وفيهما قرأت ـ لا أدرى لماذا ـ أن فى حياة هذه السيدة حزنا دفينا ، وأنها تعيش فى سر كبير خطير ، وأنها صاعدة الى شقة ذات علاقة بهذا السر ، لكى تتخذ خطوة حاسمة فى شأن هذا السر ، بحيث لا أستبعد أبد أن أقرأ لها خطايا يروى قصة هذا السر الغامض فى اليوميات القادمة للاستاذ محمد زكى عبد القادرة ، أن فى يدها اليسرى خاتم الزواج ، فهل تراها تخون زوجها ؟ ومن أمتى ؟ ومن هو عشيقها وكيف تعرفت به ؟ وما هى الخطوات التى أتبعها فى الايقاع بهذه السيدة الرزينة ؟ أتراه شابا ممعنا فى الوسامة فكان حبا من أول نظرة، أم تراه ذئبا محترفا خبيرا برسم الخطط وتنفيذها بما أسمع عن صبر الذئاب ؟ واذا كان الفرض الاخير ، فما هى الطريقة التى ينظر بها مثل ذلك الوغد الى السيدات عندما ينفرد بهن فى الاسانسير ؟

أسئلة كثيرة أثارت فى نفسى من الاشفاق ما لابد قد أرتسم وراء نظارتى ، ولكنها لم تلحظ أشفاقى كما لم تلحظ من قبله غيظى ، غامضة فى أعماق جلالها الذى يقول لى فى قسوة أليمة :

ـ أنت موش موجود ٠٠ أنت موش هنا ٠٠ أنت مافيش !

ابتسامتان

فلما كان الطابق السابع وقع شىء غريب ، اذا اختلست نظرة الى وجه السيدة فوجدتها تبتسم ، تلك الابتسامة التى تابعت خط سيرها وانتهيت الى باب الاسانسير ، ذلك الباب الذى لم أجد فيه أى شىء يثير فيك الابتسام مهما كان عندك من روح الفكاهة ٠

انها لا تبتسم لى طبعا لانها لا تنظر الى ، ولا تبتسم منى أيضا لانها لا تبدو من نوع السيدات اللواتى يبتسمن من الناس حتى لو فرضنا أنها رأت فى أولئك الناس ما يثير الابتسام ، فلماذا تبتسم

لقد ثار فى ذهنها خاطر سرها فابتسمت ، فكيف تفسر هذا السرور فى أطار السر الغامض الخطير الذى يخيم على حياتها ؟ واذا كنت مخطئا ولم يكن فى حياتها أى نوع من الاسرار ، فلماذا تبدو عيناها حزينتين هكذا ؟

وبصرف النظر عن كل ذلك ، ما هو الموقف الذى ينبغى للرجل العصرى أن يتخذه فى مثل هذه الظروف ؟ عندما ترى سيدة تبتسم حيث وقفت بجانبك فى الاسانسير ٠٠ هل يكون الادب أن تبتسم مجاملة لها ، أو أن تعبس ، أو تقف جامد الوجه كالتمثال ؟

انها نقطة من نقط الاتيكيت ـ كما ترى ـ ما زالت فى حاجة الى الدراسة ، وفى انتظار انتهاء الخبراء من هذه الدراسة فعلت أنا الشىء الذى رأيته صوابا ، وهو أن رسمت على شفتى ابتسامة صغيرة أعبر بها عن تقديرى للخاطر السار الذى دار فى رأس هذه السيدة ، تلك الابتسامة التى اختفت بمجرد رؤية صاحبتها لابتسامتى، ، ولمع فى عينيها معنى يقول :

ـ آل له نفس يضحك ٠٠ جتك نيله !

فاصل موسيقى

مع مثل هذه السيدة (قلت لنفسى فى الطابق الثامن) التى تتجاهل وجودك الى هذا الحد ، جدير بك أن تتجاهلها بدورك وتعمد الى تحقيق الرغبة المكبوتة فى نفسك منذ الطابق الخامس ، وهى الرغبة فى أن تصفر ٠

وهكذا بدأت أصفر لحنا منتزعا من السيمفونية التاسعة لبيتهوفن ، متطلعا الى السقف فى عدم اكتراث فنى رفيع ، مختلسا النظر الى وجه السيدة بين الحين والحين لكى أرى وقع هذه الثقافة الموسيقية عليها - لعلها تشعر بضآلتها - فلم أر أى تغيير يطرأ على وجهها أكثر مما يمكن أن يطرأ على وجهك أنت اذا سمعت لحنا لفريد الاطرش .

ولا تأثرت عندما تركت بيتهوفن الى فيروز ، الامر الذى زهدنى فى الصفير كله فسكت كأنها تقول لى - السيدة الجليلة اللعينة - أننى اذا اتشقلبت أمامها ، أو عبهبت أو سرت على حائط الاسانسير كالبورص ، فان شيئا من ذلك لا يمكن أن يفسد سكون نفسها ، لا يمكن أن ينزلها من سماواتها العالية الجليلة .

انتقام السماء

وعند الطابق التاسع قامت السيدة بالحركة التى يجب أن تقوم بها كل أنثى وهى تتهيأ لمواجهة العالم ، وذلك أن ترفع يدها الى شعرها لتتحسسه وتتأكد أنه ما زال موجودا .

ووقف الاسانسير عند الطابق العاشر الذى تقصد اليه فتقدمت تنتظر انفتاح الباب الاوتوماتيكى ، وما لبث الباب أن انفتح فوقع الشىء الهام الذى لابد أنك تنتظره من زمان .

ما كادت السيدة تخطو بقدمها لتخرج حتى اصطدم بوز حذائها بالجزء البارز من الارض ، فاذا بها تتعثر ، وتتكعبل ، وتترنح ، وتتكفىء على وجهها بعرض بسطة السلم ، وحولها على الارض ما لا يقل عن طن كامل من الجلال الانثوى المبعثر !

- يا ساتر !

هكذا قلت لاظهر التأثر بما رأيت ، ولاخفى ما لعله يكون قد ظهر على وجهى من سمات السرور الوحشى الذى سرى فى نفسى ساعة السقطة ، ذلك السرور الذى لا أدرى أن كنت تقرنى عليه أم لا .

وبينما كافحت السيدة في سبيل النهوض نظرت خلفها بسرعة لترى أثر الحادث على ، فلا أدرى ان كانت قد لحقت - أو لم تلحق - ابتسامتي الصغيرة التى انقفل عليها باب الاسانسير الاوتوماتيكى !

الناموس وأنا



« الانسان اذا ابتسمت له زوجته يجب ان يتساءل عن السبب » .

اذا

رأيتنى أسير فى الطريق وقد امتلأ وجهى بالنقط الحمراء فلا تظن أننى مريض بالحصبة ، بل أعلم أن هـذه النقط ترجع الى حالة كونى أقيم فى (لحظة حتى اهش هذه الناموسة) شارع الهرم ، ذلك الشـارع الذى يخيـل لى أن أحـد الاثرياء الشـواذ قد اقام فيه مزرعـة نموذجية لتربية الناموس ، بدليل وفرته الشـديدة فى المنطقة ، (٥٠٠٠ ناموسة فى مقابل الفرد الواحد) وبدليل امتياز أنواعه سواء من ناحيـة الحجم أو من ناحية الخفة فى الحركة وسرعة الانقضاض على الفريسة ، مع التميز بطنين مرتفع الى درجة تذكر المقروص منه بصوت طائرة الميراج الفرنسية ، الامر الذى يدل على مدى ما بذله صاحب المزرعة المذكورة من الجهد والمـال فى عمليات التربية والتهجين .

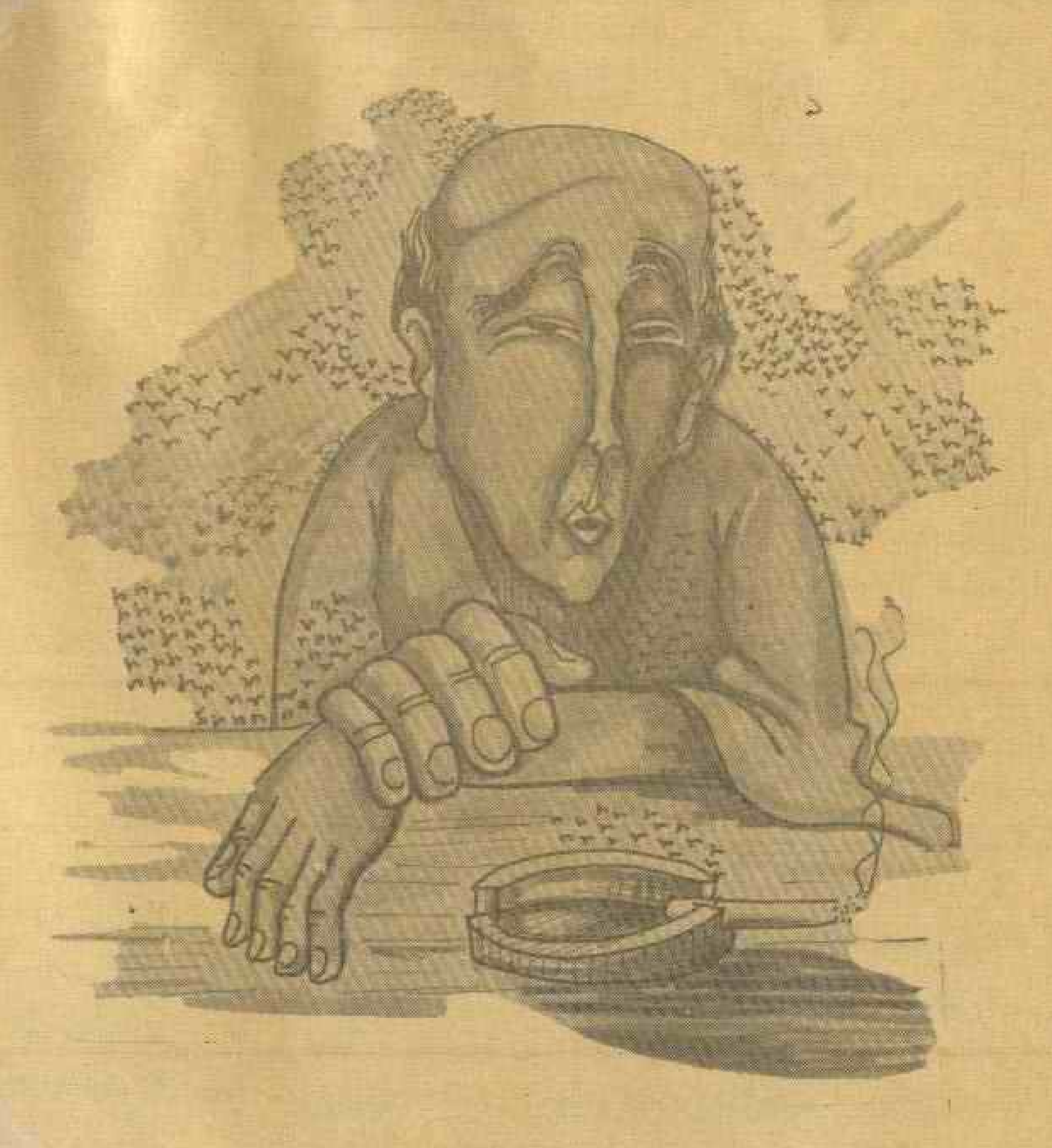
ومن الميزات الاخرى لهذا الناموس أنه ذواقة للدماء الى درجة غير مالوفة ، فهو لا يقرص كل الناس على السواء ، بل يتخير الدماء المناسبة ويرفض الزمرمة ، بدليل انك قد ترى على جسمى أنا عشر ناموسات فى وقت واحد ، وتنظر الى أجسام سائر أفراد المنزل فلا ترى عليها أكثر من ناموسة واحدة .

ذلك ـ كما لابد قد استنتجت ـ هو السبب فى تلك النقط الحمراء المنتشرة على وجهى ، لاننى لا أستطيع أن أقرص دون أن أهرش ، الامر الذى يجعلنى أنظر الى المستقبل بكثير من التشاؤم ، الى ذلك اليوم الذى يصير فيه وجهى كله أحمر تتخلله بعض النقط البيضاء .

ولذلك اشتريت منذ أيام ـ وقد كبس الناموس بدخول الربيع ـ

صندوقا من المبيدات الحشرية ، ووضعته على ظهر الدولاب لكى يكون بعيدا عن الايدى العابثة ، توطئة لان أملأ به البخاخة عندما يأتى المساء وناموس الليل ينتشر .

فلما كان المساء أصابتنى نوبة من نوبات الكسل التى تنتابنى فى الصباح فبدلا من أن أتولى عملية ملء البخاخة بنفسى ، ناديت الخادمة وأمرتها بأن تتولى عنى هذه المهمة ، بل وبأن تتولى عنى رش حجرة النوم ، تلك العملية التى تحتاج فى سـبيل اجادتها الى قوة عضلية أعتقد أنها تتوافر فى خادمتنا أكثر مما تتوافر فى أنا ، الامر الذى يدلك على مدى الرعاية الغذائية التى تنالها الخادمة المذكورة .



وراحت الخادمة تبخ الحجرة حتى نهجت ، فرأيت أن اتدخل أنا لكى أكمل العملية بنفسى ، ولكى أتأكد من أن كل الناموس قد مات أو - على الاقل - طفش ٠ وقد لاحظت منذ لحظة دخولى الى الحجرة أمرا غريبا نوعا ، وهو أن ناموسة واحدة لم تمت ولم تطفش ، بدليل وجود عشرات منه على الجدران والسقف ، وواحدة عنيدة على البخاخة نفسها !

وبينما رحت أبخ مسجلا على بعض أفراد الناموس اصابات مباشرة ، لاحظت أنه - الناموس - يلتفت نحوى فضولا بدلا من أن يهرب ، كأنه يتساءل ماذا أنا صانع ، كما لاحظت أن ناموسة معينة مالت على جارتها حيث وقفتا على الحائط ، وبدا من أمرهما أنهما تتبادلان الرأى فى الموقف ٠ بل أننى لاحظت (ولو أنها غريبة شوية) أن ناموسة أخرى - وقد أصابها جانب من رذاذ السائل - رفعت جناحها الايمن كأنها تريد أن تغسل به - السائل - ما تحت ابطها ٠

هل يمكن أن يكون الرجل الذى باع لى هذا السائل قد غشنى ووضع فى الصندوق بدلا من المبيد الحشرى ماء قراحا ؟ انه احتمال قائم طبعا ، ولكن كيف أبرر هذه الرائحة الغريبة التى استقرت على وجهى وأنا أصوب البخاخة الى أعلى لكى أبلغ السقف بالرذاذ ؟

- دلوقت أقفل باب الاودة كويس (قلت لنفسى) وشوية شوية كل الناموس يتخنق ويموت ٠

وانسحبت الى حجرة أخرى لاواصل ما انقطع من عملى ، نحوا من نصف ساعة قبل أن ينفتح على باب الحجرة وتدخل زوجتى وهى تنظر الى وتبتسم ٠ والانسان اذا ابتسمت له زوجته يجب أن يتساءل (فى نفسه) عن السبب ، فما بالك وقد رأيت الابتسامة تتسع وتتسع ، بينما أخذ جسم صاحبتها يهتز وقد تحولت الابتسامة الى ضحك مكتوم ، ثم الى ضحك سافر ، ثم الى قهقهة عالية تشنجية وهى تنظر الى طول الوقت ٠

وأنا أعتبر بأن منظرى وأنا أكتب يثير فى نفس الناظر نوعا من الانبساط النسبى ، من ناحيته بسبب الموضوعات التى يعرف ذلك الناظر أننى أكتب فيها ، ومن ناحية أخرى بسبب أننى فى العادة أكتب وأنا متربع على كرسى فوتى ، وفوق حجرى وسادة مربعة ، وفوق الوسادة قطعة عريضة من الكرتون ، وفوق تلك الكرتونة الاوراق التى أكتب فيها ، وحولى عشرات من الاوراق المكرورة التى حطمتها ٠٠

نعم - اعترضت - انه منظر ربما يبرر شيئا من الابتسام ، ولكنه لا يمكن أن يبرر أبدا هذه النوبة الضاحكة الهستيرية ، سواء عند زوجتى أو عند أى امرأة أخرى ، فايه الحكاية ؟

- انت عارف (سألتنى المذكورة بحد أدنى من الوضوح بسبب ضحكها الجنونى) بخيت الاودة بايه ؟ ٠٠

- ح يكون بايه (أجبتها بكبرياء) ٠٠ بالبخاخة طبعا ٠

فاسترسلت تقول :

- عارف مليت البخاخة ايه ؟

وهنا - بصراحة - بدأ الفأر يلعب فى عبى ، اذ أنك تذكر الملاحظات الناموسية التى لاحظتها خلال عملية البخ ، وتذكر ما كتبته لك فى يوم ما عن الانسداد المزمن الذى أعانيه فى كل من طاقتى أنفى ، الامر الذى جعلنى أقول الآن لنفسى :

- تكون البنت الخدامة ملت البخاخة بحاجة ثانية ؟

وسرحت بخيالى الى ظهر الدولاب حيث وضعت صندوق المبيد الحشرى ، فسرعان ما رأيت - بخيالى - صندوقا آخر أذكر أنه كان موضوعا فوق ظهر الدولاب نفسه ، وكيف أننى عندما سألتنى الخادمة عن مكان الصندوق قلت لها فى ايجاز :

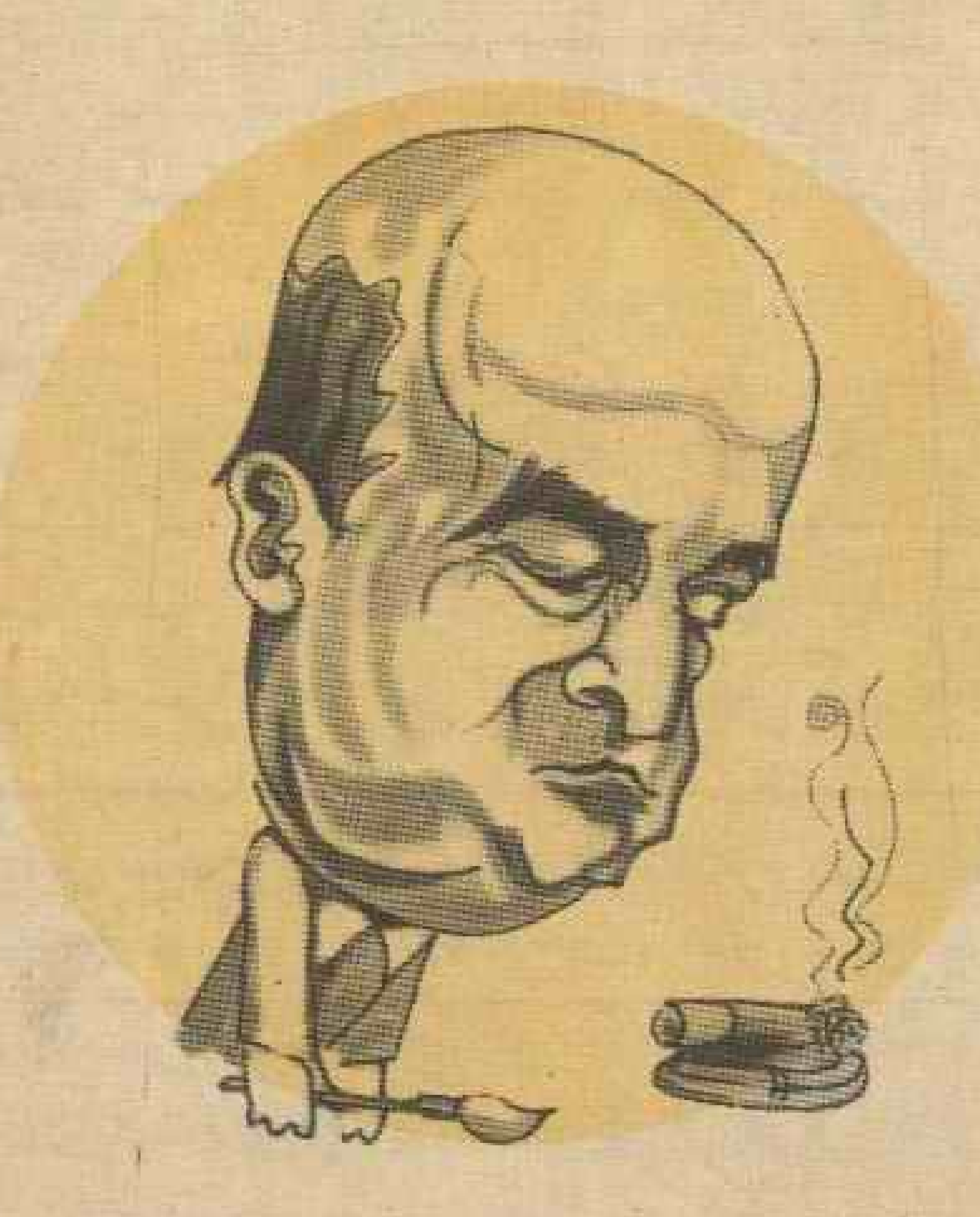
- فوق ضهر الدولاب ٠٠

اى شىء كان يحويه الصندوق الآخر الذى بجانبه ، لم أتذكر ، ولم اكن بحاجة الى أن أتعب نفسى بمحاولة التذكر ، اذ أخرجت زوجتى شيئا كانت تخفيه خلف ظهرها طول الوقت ، وهو صندوق يحتوى على سائل لا عجب أنه ظفر من أسراب الناموس بكل ذلك الاستغراب ، وهو زيت الزيتون الفرنساوى !

فقفزت من مقعدى وأسرعت الى حجرة النوم ، لكى أرى فوق وسادة السرير عشر ناموسات مجتمعة فى شبه دائرة حول بقعة زيت ، بينما راح قطنا الاصفر الكبير يزحف على الارض وهو يلعقها ، فى حين حانت منى لفتة الى السقف فرأيت برصا كبيرا يخرج لسانه ويلعق شفتيه فى هيئة تلذذ واضح !

الى هنا أترك الكلام فى هذا الموضوع ، اذ أنه من بين عشرات الافكار التى تخطر فى ذهنى على سبيل التعليق ، لا أجد فكرة واحدة يمكن أن انشرها فى كتاب مهذب كهذا ٠

رأى الطقطوقة



« ان التدخين عملية جوهرها العربدة النفسية ، فما معنى ان احيطها بذلك الستار المتزمت من الطقاطيق ؟ » ٠

بالرغم

مما كان بينى وبين المرحوم الرسام صاروخان من اتفاق تام على الكثير من الموضوعات التافهة ، فان بيننا خلافا جوهريا حول موضـوع أعتقد انه حيوى جدا، ألا وهو العلاقة بين الرجل والطقطوقة٠ انه يعتقد ـ لسبب كامن فى عقله الباطن ـ أن الطقطوقة صنعت لكى ينفض الرجـل فيها رماد سيجارته ، ذلك الاعتقاد الذى أرفضه بشدة وأرى أن الوظيفة المذكورة هى آخر شىء ورد فى ذهن الرجل الذى صنع الطقطوطة ٠ انه لا بأس ـ فى عقيدتى ـ من ان ينتهى الرجل من تحت برتقالته السكرية فيتناول بذورها ويودعها فى الطقطوقة ، أو ينظر الى كأس الشـاى ـ معذرة أعنى الى كوب الشاى ـ فيرى شيئا من العكارة ويسكب تلك الثمالة فى الطقطوقة وما الى ذلك من الحالات المناسبة ٠ اما أن يستعمل طقطوقتين فى نفض رماد السيجارة فهذه فى رأيى مبالغة شديدة فى اساءة استخدام الادوات ٠

اذ ادخل عليه ـ صاروخان ـ والسيجارة مشتعلة فى يدى ، فما يكاد يرانى حتى يرتسم على وجهه قدر من الهلع أكبر من أن يخفيه ، وينتظر حتى يرى أين ساجلس ، ثم يسارع باحضار الطقطوقة لوضعها بجانب يدى اليمنى حيث ينتظر أن أنفض رماد سيجارتى ٠

ولما كنت لا أحب نفض السيجارة فى الطقطوقة ، فاننى أنفضها عن يسارى على الارض ، الامر الذى يجعله ينقل الطقطوقة الى يسارى ، ثم الى يمينى ، ثم الى يسارى وهكذا ، حتى تكاد تتكرر نكتة الريفى الذى راح يبصق على الارض عند الحلاق ، وهذا الاخير ينقل المبصقة فى

المواقع التى يتوقع أن تنزل فيها البصقة الجديدة ، حتى زهق القروى وصاح فيه :

ـ انت تشيل البتاعة دى ولا أتف لك فيها ؟!

هذا هو موقف صاروخان من السجائر والطقاطيق ، ذلك الموقف الذى لم أنجح فى فهمه قط • فأنا أعتقد أن نصف لذة التدخين ـ وربما ثلاثة أرباعها ـ تكمن فى تلك العملية بالذات ، عملية نفض رماد السيجارة على الارض ، تلك اللذة التى تبلغ ذروتها اذا تصادف أن كانت الارض مغطاة بالسجاد ، ويا حبذا لو كان سجادا عجميا ثمينا • فالتدخين فى ذاته عملية لا لزوم لها ، بل انها عملية جوهرها

العربدة النفسية ، فلماذا نحيطها بذلك الستار المتزمت من الطقاطيق ؟؟ لماذا أسمح لنفسى بأن أسحب الدخان المشبع بالرماد فى صدرى ، ثم أفترض أن هذا الرماد أقذر من أن ألقى به على أرض الحجرة ؟ لماذا أنحنى الى الامام مفسدا جلستى المريحة ، وأمتحن مهارتى فى النيشان بأن أصوب سيجارتى الى طقطوقة سخيفة قطرها خمسة سنتى ، فى حين أن الله تعالى قد وهبنى طقطوقة كبيرة عرضها خمسة أمتار وطولها ستة هى أرض الحجرة ؟؟ ألا ترى معى أن هذا التصرف ـ الى جانب كونه غير منطقى بالمرة ـ يعتبر نوعا من الكفر بنعمة الله ؟

وعلى أى حال فان مسألة رماد السيجارة أهون بكثير من مسألة اطفائها •• فهل تصدق أن صاروخان ـ ووراءه جانب من الرأى العام لا يستهان به ـ يريد منى أن أستعمل الطقطوقة فى اطفاء السيجارة أيضا ؟! طيب والارض راحت فين يا أخينا ؟ كيف تريد منى أن أعرض أصبعى للحرق وأنا أطفىء العقب فى طقطوقتك المضحكة ، فى حين أننى أستطيع أن ألقى به على الارض وأفعصه فعصا ، ثم أفركه وأدهسه دهسا ، وأتلذذ برؤيته وهو يتحول من جسم ملتهب مغرور الى ذرات باردة من التبغ والورق الممزق ؟؟

تلك فى نظرى (وأعتقد أننى مؤيد أنا الآخر بجزء من الرأى العام لا يستهان به) هى الطريقة الطبيعية لاطفاء السيجارة ، ولا يفضلها بالطبع الا الطريقة الاخرى ، طريقة حصر العقب المستهلك بين الابهام والسبابة ، توطئة لنبذه كالقذيفة الى آخر الحجرة ، حيث يرتطم بالحائط ثم يسقط على الارض لينطفىء على مهله ، دقائق عديدة وأنت ترقب خيوط الدخان التى تنبعث منه متعرجة ملتوية كأنها روح تتصاعد من جسم انسان محتضر • فهذه الطريقة الى جانب أنها تمتع العين بالنظر المذكور ، تمتع الانف أيضا عن طريق حاسة الشم ، شم دخان السيجارة وقد امتزج برائحة احتراق أرض الحجرة ، تلك الرائحة التى تبلغ أزكى درجاتها اذا كانت الارض من خشب الباركيه فاخر •

فاذا تركنا هذه المتعة البصرية الشمية فقل لى بالله عليك : أى شىء

يمكن ان تزين به محيط أرض الحجرة ـ بأقل النفقات ـ مثل تلك الدوائر السوداء والبنية التى ترسمها على الارض عشرات الاعقاب التى تلقيها هناك ـ لتنطفىء وحدها ـ ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم ؟ أنها فى نظرى ـ تلك العلامات ـ لون من أروع ألوان الديكور وفقا للمذهب التشكيلى الحديث ، ولذلك أنصحك ـ اذا اقتنعت بهـا ـ الا تقصرها على أرض الحجرة وحدها ، بل تعمم تطبيقها ـ كما أفعل أنا ـ على سائر قطع الاثاث فى منزلك ، وذلك بأن تنتهى من تدخين سيجارتك فتمد يدك الى أقرب ترابيزة أو مسند خشبى لكرسى أو حتى راديو موبيليا ، وتفعص العقب عليه فعصا ٠ حقا ان هذه الطريقة ربما ضايقت زوجتك نوعا ، ولكن ما هي الاشياء التي لا تضايق زوجتك منك ؟

فاذا نحن صرفنا النظر عن الناحية الجمالية للموضوع (الممثلة فى البقع التشكيلية الفاتنة التى تزين أثاث منزلك) فاننا نجد أن لهذه الطريقة قيمة سيكولوجية كبيرة جـدا ، اذ تنظر الى أى قطعة أثاث عندك فتجد أنها متأثرة بك مطبوعة بطابعك ، قطعة منك تشهد بانك عشت ودخنت سجائرك العديدة فى هذا البيت ، موش مجرد حتة موبيليا طالعة من الفابريكة ٠

آه ثم آه !

دموع المراهقين والمراهقات ، المحرومين منهم والمحرومات ، تتساقط برنين فضى مسموع فى خزائن السعداء والسعيدات ، من المطـربين والمطربات ، واصحاب شركات الاسطوانات ! وانه ليدهشنى كيف انه لم تتكون حتى اليوم شركة اسطوانات باسم دموع الفن !

* * *

الاغنية العربية المعاصرة هى تلك التى تقول فى ساعة ما كان يجب ان يقال فى خمس دقائق ، واحيانا ما كان يجب الا يقال اصلا !

رحلة سوداء



كانت ساعة نحس سوداء اللون ، الساعة التى سولت لى فيها النفس الأثيمة - فجأة وبدون مناسبة - أن أحمل العيال وأسافر الاسكندرية ، وذلك - آل ايه - لكى يستمتع المذكورون بالبلبطة فى البحر الذى سمعت من أكثر من اسكندرانى انه يكون فى شهر اكتوبر - البحر لا الاسكندرانى - مثل الحصيرة تماما .

فما كادت هذه الفقرة المجنونة تستقر فى سائر النفوس الأثيمة من أفراد الأسرة حتى كنا فى السيارة نسابق الريح ، وكانت ريحا هادئة تسهل مسابقتها بسيارة فورد ٥١ ، ونبيتى كمان . الى الرست هاوس وصلنا بعد ساعة ، وهناك توقفنا حينا لكى نتزود - السيارة وأنا - بحاجتنا من البنزين والقهوة ، ثم عاودنا السير الى ما قبل الاسكندرية بثمانين كيلو ، وهناك بدأت أسمع صوتا غريبا جعلنى أسأل زوجتى بقولى :

- انتى جايبة معاكى ساعة الحيط ؟

- كلا - أجابت - طبعا ، فقلت مستدرجا .

- طيب المنبه ؟

- برضه لأ .

ولم يكن ذلك دلعا منى ، اذ انه كان ينبعث من الموتور صوت تكتكة منتظمة لا تفترق كثيرا عن دقات المنبه الذى يبيت بجانب سريرى ، بحيث أننى لو سمعت الموتور بعد حين يضرب لى جرسا لما عجبت !

فأوقفت السيارة وكشفت الموتور ورحت أتأمله وأتحسسه - وكان ساخنا يلسع - بدون أن أصل بالطبع الى أى استنتاج ، اذ أن كل ما أعرفه عن الموتور هو أنه ذلك الشىء الذى يوجد فى مقدمة السيارة ويتكلف عند تجديده ما لا يقل عن مائة جنيه .

فغطيته وعاودت الرحلة ، وسرنى ذلك التغيير الذى طرأ على صوت التكتكة ، اذ كانت من قبل تكتكة رتيبة تقول :

- تك تك تك تك تك ..

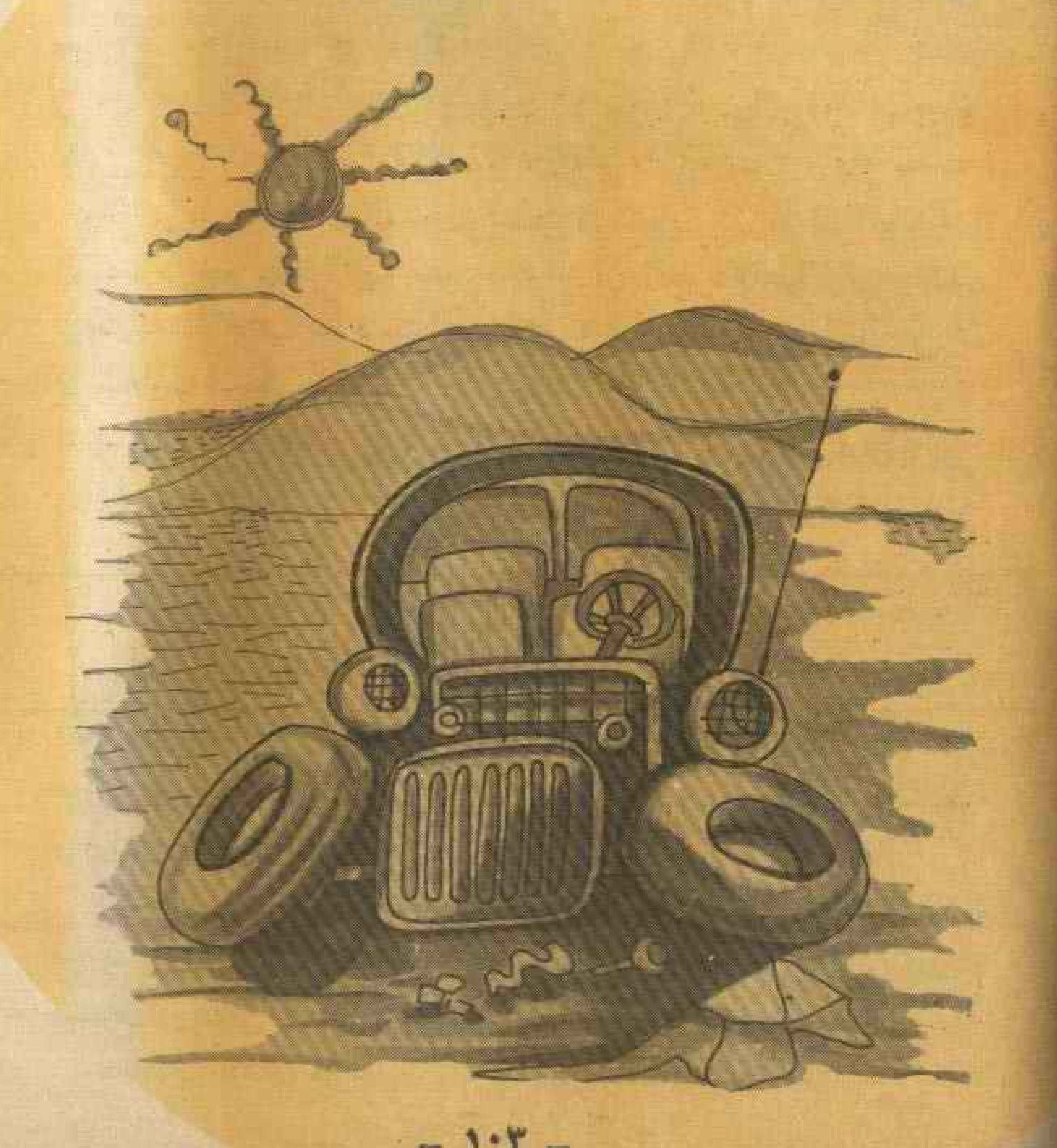
أما الآن فقد دخلها شىء من الايقاع المنغم ، وأصبحت تقول :

- تك تك تتك تك تى تى تك !

وذلك بصوت يشبه النقرات الموسيقية التى تسبق الموال ، بحيث أننى سرت وفى نفسى تطلع لطيف الى أن أفاجأ بصوت عبد المطلب ينبعث من الموتور قائلا :

- يا يا يا يا يا ليل !

ولكن ذلك لم يحدث ، وبعد حين وصلت الى احدى محطات البنزين بالطريق الصحراوى ، فأوقفتها هناك طلبا للنصح من الرجل المشرف عليها ، اذ كشف الموتور وأنصت اليه حينا ثم قال :



- دى بيبلا .

- بيبلا ؟

- ايوه ، بيبلا .

- ويعنى ايه ولا مؤاخذة بيبلا ؟

فبدأ يشرح لى ما خفى على من أسرار السيارات ، قائلا ان فى كل سيارة شىء اسمه موتور ، وفى كل موتور شىء اسمه بستون ، وفى كل بستون شىء اسمه بيبلا ، وهذا الشىء هو المصاب فى أحد البساتن الكائنة فى داخل الموتور الكائن فى داخل سيارتى .

- يعنى أقدر (سالته) أمشى بيها ؟

فقلص شفته السفلى وقال :

- يجوز .. لمدة كيلو !

- طيب والسبعين كيلو اللى فاضلين ؟

فقال لى ان هذا شىء متروك لتقديرى الخاص ، اما أن أقطع تلك السبعين كيلو سائرا على قدمى ، واما أن أعتبر البقعة التى وصلت اليها شيئا اشبه بوطن جديد اختارته لى الاقدار ، فاتكل على الله وأستقر هناك الى الابد .

كلتا الفكرتين لم تعجبنى بالطبع ، فحدثته عن تليفونات الاغاثة التى رأيتها منتشرة على طول الطريق ، وسألته هل يمكننى أن أستغيث عن طريقها ؟

- ممكن ، بس ما حدش ح يغيثك .

وذلك - كما شرح لى - لان مراكز الاغاثة لا تهتم بهذه الاشياء الصغيرة المسماة بالبيبلا ، ولكن تفكر فى الانتقال الا اذا سمعت من صوتى ما يدل على أن حادثا هاما قد وقع لى ، وذلك أن أرفع السماعة وأقول بحشرجة واضحة :

آلو .. مركز الاغاثة أنا .. أنا .. أنا .. أنا ثم تسقط السماعة من يدى وأكف عن الكلام ، فيفهم الموظف من ذلك أننى مت أو كدت ، فيتثاءب وينتقل لاغاثتى أو دفنى حسب الظروف .

- عارف (قلت للرجل) أنا ح أعمل ايه ؟

- ايه ؟

- ح أسافر بالعربية !

وضغط على البنزين متوكلا على الله الذى لا أذكر أنه أوقعنى فى مصيبة حقيقية قط ، قائلا لنفسى وايه يعنى لو يطلع لى صوت عبد المطلب ؟!

وكان سيرى بطيئا طبعا ، وكنت أشغل الموتور وأنا طالع على الجزء المرتفع من الطريق ، فاذا وصلت الى الجزء المنحدر نزلت بحكم الاندفاع ، الامر الذى سر الاولاد حتى قالوا ان الرحلة قد بدأت تصير ممتعة للمرة الاولى .

هكذا - بطولة البال التى تهد الجبال - وصلت الى الاسكندرية ، وقصدت الى مكتب أخبار اليوم حيث قيض الله لى رجلا طيبا هو الزميل حمدى الشامى فأخذنى الى رجلين طيبين من أصدقائه ، توطئة لان يأخذنى الجميع الى ميكانيكى طيب من أصدقائهم ، اذ ألقى على الموتور نصف نظرة وقال فى ايجاز :

- بيبلا !

فتنهدت فى استسلام الميكانيكى وسألته عن المبلغ الذى يجب أن أدفعه للآنسة بيبلا لكى ترضى عنى ، فقال :

- بالمصنعية ؟

- أيوه ..

- تمانيه جنى .

الجنى - ان كنت لا تعرف - هو الجنيه الاسكندرانى ، وهو - مثل الجنيه المصرى - مائة قرش بالضبط . ومن هذا نفهم معنى قولى للعيال عندما دخلت عليهم بعد حين بدون السيارة .

- انتو طبعا جايين اسكندرية وناويين تاكلوا سمك وكابوريا ورتسه وجمبرى وحاجات زى كده ، موش كده ؟ كده - قالو - آه .

فقلت :

- طيب انسوا السمك .

- ننسى السمك ؟!

- والكابوريا ٠

- والكابوريا ؟!!

- الرتسة والجنبرى ٠ أحسن حاجة تتاكل فى اسكندرية هى الفلافل ؟

- اللى بناكلها فى مصر ؟

- لا يا مغفلين ٠٠ دكهة اسمها طعمية ٠

وشرحت لهم حكاية الثمانية جنى ففهموا أو أظهروا أنهم فهموا ، وقالوا لى فى مسكنة :

- ونقدر نستحمى فى البحر ؟

فقلت بابتسامة كريمة واسعة :

- من الصبح للمغرب ٠٠ واللى يصطاد سمكة ياكلها بالهنا والشفا !

فهذا هو السبب فى أنهم اختاروا للاستحمام تلك المنطقة الصخرية التى يعرفون أنها غنية بالثروة السمكية ، لذلك كان فزع أمهم فى غير محله فى تلك المرات التى رأتهم فيها وقد غابوا بالنصف ساعة تحت سطح الماء ، اذ توهمت أنهم غرقوا وغاب عنها أنهم يبحثون عن الرتسة فى قاع البحر ٠

واليوم - السبت ٢٠ أكتوبر - تسلمت السيارة من الميكانيكى الذى أكد لى أنفى داخلها بيبلا جديدة لنج ، وأوصانى ألا أسير أسرع من ستين كيلو فى الساعة ، وان أعمد بمجرد وصولى بالسلامة الى فتح الموتور من جديد لكى أصلح شيئا آخر اسمه « الكرنك » ، ذلك الشىء الذى تعب بسبب سيرى مسافة السبعين كيلو بالبيبلا اللعينة التالفة ولذلك لا تعجب لتلك الرعدة التى داخلت صوتى وأنا أقول له :

- والعملية دى ٠٠ قصدى يعنى ٠٠ عاوز أقول يعنى ٠٠ تتكلف كتير ؟

- هاها ٠٠ لا أبدا ٠٠ حسبة ستين سبعين جنى !

- ها ها ها ٠٠ بس ؟!

- ها ها ها ٠٠ بالكتير ٠

- ها ها ها ٠٠ دنا كنت باحسبها غالية ٠٠ باحسبها حاجة بتاعة عشرة عشرين جنى !

- لا أبدا ٠٠ ستين جنى بس ٠٠ هاها ٠

- ها ها ها ها هاى !

ايه يعنى ستين جنيه ؟ موش تمن أكل شهر ؟ بسيطة ! لزومه ايه الاكل ؟ بناخد منه ايه غير وجع البطن ؟ واذا العيال جاعوا نبيع سجادة الصالون ٠٠ احنا موش جينا اسكندرية عشان البحر زى الحصيرة ؟ أهه فى مصر نفرش حصيرة ، وكأننا لسه فى اسكندرية ٠

ملحوظة

اذا كنت تظن أنها رحلة سوداء لما سلف فحسب ، فاسمع عينة من أشياء أخرى وقعت لى فى تلك الرحلة المشئومة ٠

★ بمجرد وصولى الى الاسكندرية فوجئت بأن المياه مقطوعة عن العمارة بسبب التصليح ، واضطررت أن أغسل يدى بزجاجة كوكاكولا !

★ ذهبت الى سينما ستراند لكى أشاهد الفيلم الذى تقول الجريدة أنه من تمثيل جيمس ستيوارت ، فوجدت هناك فيلما آخر ، الامر الذى اضطرنى الى مشاهدة روبرت ميتشوم وأنا أكرهه ٠

★ بعد عودتى من السينما بحثت فى سيدى بشر كلها فلم أجد قطعة واحدة من الثلج ، واضطررت أن أشرب الكازوزة ساخنة ٠

★ فى السيارة - نسيت أن أخبرك - زنق الولد رقم ٢ أصبعه فى الباب ، وما زال مربوطا - الاصبع لا الولد - الى الآن ولا أدرى أن كان هذا بسبب البيبلا أم لا ٠

★ اتضح لى أننى الشخص الوحيد الموجود فى سيدى بشر فى هذا الوقت من العام ، وسط عشرات من العمارات المقفلة ، أنا وقطيع من المعيز يرعى بين الشاليهات المبنية فى منطقة ميامى ! وبذلك أشعر أن ما حدث لى ليس الا نوعا مما يسمونه « بالعدالة الشعرية » ، اذ أن الشخص الذى يشذ بهذا الشكل عن المجموع يستحق أن تكسر رقبته لا بيبلته فحسب !

هذه الكتب .. وأنا



لست ادرى ماذا الم به فى الشهور الاخيرة فحولنى من كاتب الى قارىء ، حتى امتلأت حجرتى باكداس من الكتب استخدام بعضها فى الجلوس بينما أضع على البعض الآخر صينية القهوة ! وانا لا اقرأ الكتب الجديدة فحسب ، وانما اعيد قراءة القديمة التى سبق لى قراءتها ، حتى لاتعجب لو وجدتنى ذات مساء جالسا اقرأ كتاب القراءة الرشيدة !

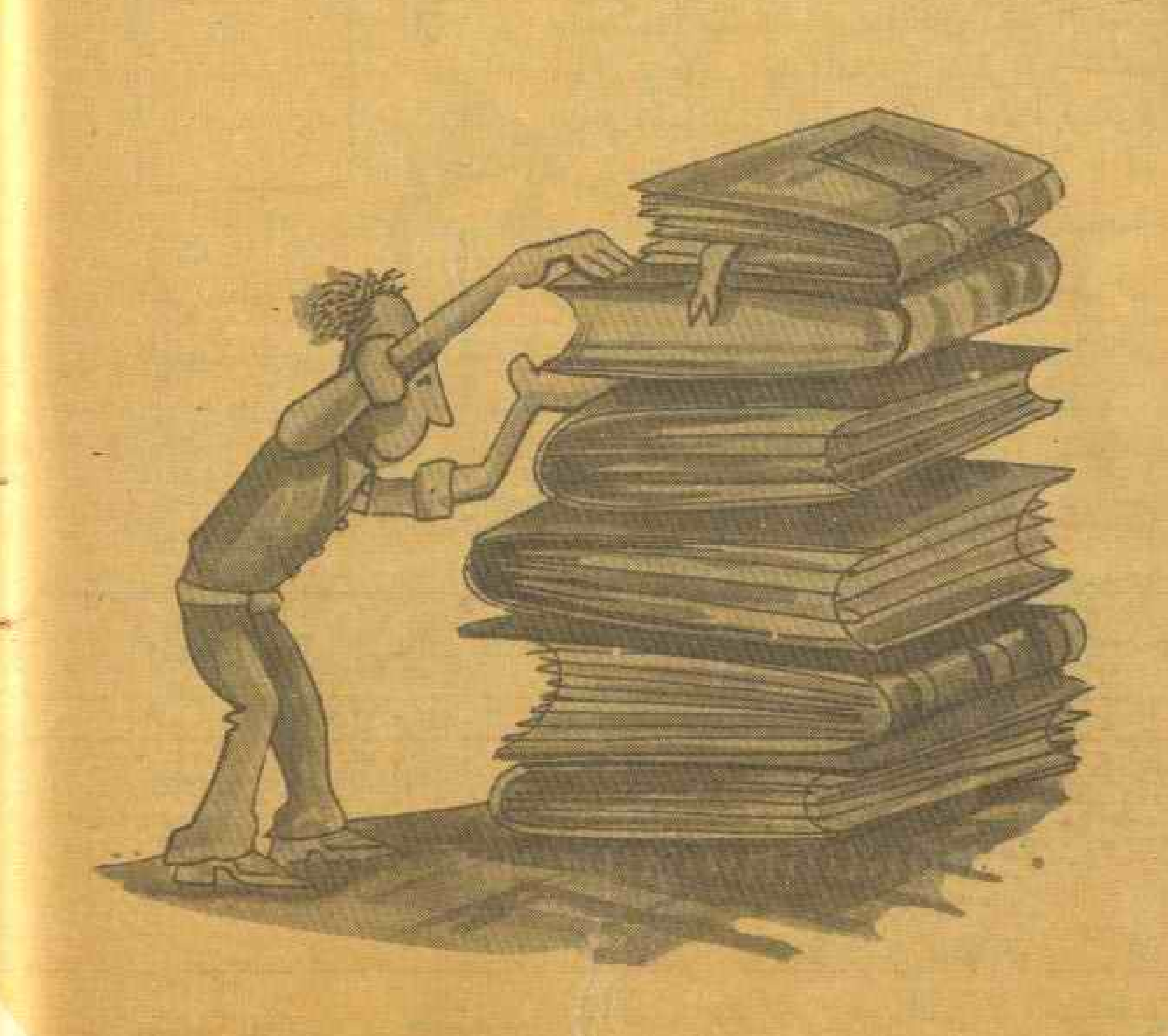
فلو كنت أقرأ كتب الادب والفكاهة التى تناسبنى لكان أمرا معقولا ، ولكننى أقرأ – كما أخبرتك مرة – كتب الكيمياء والطبيعة والفلك ، تلك العلوم التى لا أذكر أننى أخذت عليها فى المدرسة أكثر من واحد على عشرة ، وربما كان ذلك الواحد صفرا استطال نوعا فى يد المدرس الثائر ! وكذلك أقرأ في علوم الحيوان والتطور لكى آخذ فكرة واضحة عن أجدادى من القرود والنسانيس ، ثم أرجع الى الوراء لكى آخذ فكرة عن أجداد أجدادى من الزواحف الضخمة التى تطق عيونها شرارا ، ثم الى الوراء أكثر من ذلك حتى أصل الى اللحظة الاولى التى قارنت ظهورى على سطح هذا الكوكب ، عندما نظر جدى الذى يقال لى أنه كان ذرة كربون الى ستى التى كانت ذرة ايدروجين ، فأحبها وتزوجها فى ذات لحظة سعيدة تحت الاشعة فوق البنفسجية . وكذلك أقرأ شيئا عن الفلسفة لكى أدرك الى أى حد من قلة الادب يمكن أن يذهب الفيلسوف المادى فى شتمه للفيلسوف المثالى ، ولكى أستمتع بتلك المناطحة بين الفيلسوف العلمى الذى يقول ان العقل هو الطريق الوحيد الى المعرفة ، والفيلسوف اليوجى الذى يبصق على العقل مؤكدا أن الطريقة الوحيدة لتحصيل المعرفة هى ان تقف على يديك وترفع ساقيك الى أعلى مع كتم نفسك لمدة ربع ساعة ، وهكذا .

قراءات لطيفة كنت أحب أن ألخصها لك لولا علمى بأنها لا يمكن أن تسلى القارىء ، خصوصا اذا كانت قارئة . غير أننى لا أستطيع

مقاومة الاغراء بأن أسوق اليك بعض تلك المعلومات التى يخيل الى أنها طريفة ، فاذا وجدتها موش طريفة قل لى .

★ ★ ★

هل تعلم مثلا ان كل هذا النور الذى تراه حولك لم يكن موجودا من قبل أن تنشأ الحيوانات التى لها عيون ! انها كلمة طريفة قالها لى فيلسوف التطور جوليان هكسلي ، ويعني بها أنه ليس هناك شيء معين بذاته اسمه الضوء ، بل هو لا يزيد عن كونه علاقة انفعال بين الجهاز الذى نسميه بالعين وبين العالم الخارجي ، بحيث انه لو لم تكن هناك عيون لما كان هناك ضوء ، ولو كانت عيوننا ذات تركيب غير تركيبها



الحالى (دى من عندى) لرأيت الضوء الذى حولك أحمر أو أخضر أو أصفر أو حتى كاروهات !

وحتى الحيوانات ذات العيون لاتبصر كلها الاشياء بالطريقة التى نبصر نحن بها ، فجميع الثدييات ما عدا فصيلة الرئيسيات وهى الانسان والقرد والنسناس عاشت الفصائل ! جميعها مصابة - بعيد عنك - بعمى الالوان . أى أننى أذهب الى حديقة الحيوانات فى بدلتى الكحلى الجميلة وأقف أمام النمر معتقدا أننى أغيظه بها حين يقارنها بفروته والحقيقة أنه لايهتم بها بالمرة لانه لايراها . والآن وأنا أكتب هذه الكلمات أكتشف نوعا من التناقض فى هذه المعلومات التى ساقها الى المستر هكسلي . فاذا كانت كل الثدييات لاترى الالوان ، وكان الثور حيوانا ثدييا ، فلماذ يغتاظ من اللون الاحمر ويدر كل تلك الارباح على منظمى المصارعة فى أسبانيا ! اننى للاسف لم أتوغل فى قراءاتى بعد الى مرحلة الثيران فأكون شاكرا لو افتانى فى هذا الشأن أحد المختصين فى علم الثيران .

وعلى أى حال اذا كانت الثدييات مصابة حقا بعمى الالوان . فلا شك أن هذا لايخلو من المصلحة فى بعض الاحيان ، واننى لأنظر الى ألوان بعض الفساتين التى تلبسها بعض الزميلات فى هذه الدار فأتمنى لو كنت حيوانا ثدييا !

★★★

شىء آخر قرأته وأعجبنى ، بخصوص قبيلة بدائية اسمها تشامبولى وصفتها الكاتبة مرجريت ميد ، وهى المتخصصة فى مثل هذه الاشياء . اذ تقول عن نساء هذه القبيلة أنهن قويات نشيطات ايجابيات ، يتولين - بدلا من الرجال - صيد الاسماك وصنع الشباك ، ثم يتولين بيع هذه الاسماك فى الاسواق مع غيرها من السلع ، بينما يتفرغ الرجال لفنون الرقص والنحت والتصوير والموسيقى !

حقا ان السيدة لم تصف لى نصيب أولئك النساء من الجمال ، ولم تعطنى فكرة واضحة عن مدى قوة عضلاتهن وما يمكن أن يتعرض له الرجل اذا تورط فى مشاجرة معهن ، غير أن الفكرة فى عمومها

أعجبتني . وليس من شك عندى من أن هذا الوضع أقرب مايكون الى المنطق السليم . فما دام الرجل قد أثبت طوال التاريخ أنه أقدر من المرأة على الابداع الفنى ، أليس من الظلم أن يضيع وقته – كما هو حادث فى حضارتنا المضحكة – فى الاعمال العضلية والروتينية، بدلا من أن يتفرغ لتنميـــة مواهبـه الابداعية الكامنة ؟؟ ان المرأة – ما لم تكن حاملا – تضيع كل وقتها فى الكلام الفـارغ ، فلماذا لانشغل وقتها هذا الفارغ بأعمال العضل والروتين ، فى حين نجلس نحن الرجال لكتابة القصائد والسيمفونيات ؟ لقـد أنتج بيتهوفن كل تلك الذخيرة من الروائع وهو مضطر لتحصيل عيشه بنفسه ، فتصور ماذا كان يصنع لو كانت زوجته – أو أمه أوأخته أوخالته – هى التى تعمل وتأتى بالفلوس وهو جالس مرتاح البال أمامالبيانو؟ وما أدراك ما آلاف – بل ملايين السيمفونيات والملاحم الدفينة فى أدمغة الموظفين والعمال والفلاحين ، التى لاتجد فرصة للظهور تحت ضغط العمل الشاق لتحصيل الرزق ، بينما السيدات زوجاتهـن مبروشات على الكنب يقزقزن اللب ويتكلمن فى حق الناس ؟؟

لاشك أنها قبيلة عاقلة – تلك التشامبولى – برغم غرابة اسمها. ولشد ما أسفت عندما ذهبت الى مكتب السياحة فوجدت أن ثمن التذكرة الى تلك الجزيرة أكبر مما أملك حاليا !

★★★

وشىء آخر قرأته بخصوص تعداد السكان على هـذا الكوكب ، منسوبا الى رجل اسمه تشارلس داروين – وهو حفيد داروين الكبير الذى وضع أساس فكرة التطور . فقد لاحظ هذا الرجل أن عدد سكان العالم يتضاعف كل قرن من الزمان ، وبعملية حسابية معقدة تمكن من أن يؤكد أنه فى سنة ٣٩٥٤ بعد الميلاد ، سيكون الناس قد بلغوا من الكثرة بحيث أن رقعة الارض اليابسة لن تتسع لهم الا وهم واقفون جنبا الى جنب !!

انها فكرة مغرقة فى الغرابة الا أن لها مايبررها اذا أنت راجعت الاحصاءات . ففى القرن السادس عشر كان السكان يتزايدون بنسبة

٥٥ فى المائة . وفى الثامن عشر أصبحوا يتزايدون بنسبة ٦٢ فى المائة . وفى التاسع عشر تزايدوا بنسبة ١٠٣ فى المائة . وبالحساب يمكنك أن تعرف انهم فى القرن العشرين سيتزايدون بنسبة ١٣١ فى المائة ! بل ان النسبة قد ترتفع عن ذلك بسبب تقدم الطب الذى – بالاضافة الى ارتفاع مستوى المعيشة – سوف يرفع متوسط العمر ويهبط بنسبة الوفيات بين الاطفال والمرضى الىحدها الادنى.

فتخيل نفسك فى ذلك العام المشئوم – سنة ٣٩٥٤ – وأنت تقضى حياتك واقفا ! تأكل وتشرب وتفكر وأنت واقف ! فاذا تعبت تضرب جارك بكتفك لكى يفسح لك مكانا للجلوس ! فاذا أتى الليل وحانت ساعة النوم فتخيل الازمة التى يقع فيهـا ذلك المجتمع البشرى التعس !

أعتقد أن ذلك لن يحدث ، لان الناس عندما يقتربون من تلك الفترة الحرجة سوف يعقلون ، وفى مقارنتهم بين تلك الصورة الرهيبة وبين فكرة تحديد النسل ، سيقولون ان تحديدالنسل موش حرام أوكده، وسيجدون هنا أو هناك تفسيرا جديدا لنص قديم يستندون اليهفي اباحة التحديد والاجهاض وكل حاجة ! وحيث أننا لانستطيع أن نكون على ثقة من هذا العقل البشرى الطارىء حتى فى سنة ٣٠٠٠ ، فلست أجد نصيحة أقولها لحكومات العالم الا : اشرعوا من الآن فى تجفيف البحار والمحيطات !

هدف متواضع

يبدو لنا ان للانثى المصرية هدفا واحدا فى حياتها ، وهو هدف متواضع جدا، وذلك أن تنجح خلال عشرين عاما من عمرها فى ان تتحول من شخص واحد الى عشرة أشخاص !

★★★

بالعدل

ازاء الغلاء الفاحش لا اعجب اذا سمعت صوت رب اسرة يقول لاولاده الخمسة :

– خدوا صباع الموز ده قسموه بينكم بالعدل !

مانيكير

نظرت امينة الى قدميهافلم يعجبها شكلهما لانه كان ينقص اظافرهما الطلاء وليس فى زجاجتها طلاء أحمر ·

كان فيها بالامس – بالامس فقط – كثير من الطلاء ، ولكن الولد حمادة غافلها وفتح الزجاجة ودلقها على الارض ، فوسخ البساط وافرغ الزجاجة من كل أثر للطلاء الاحمر ·

فدخلت على زوجها فى حجرة الجلوس ، حيث كان واقفا فوق سلم خشبى ليدق فى الحائط سلك الايريال الذى خلعه منذ ايام نفس الولد حمادة ·

مامعكش

يا محمود خمسين قرش سلف لاول الشهر · ؟

فأجابها ساخرا ، وبصوت ملتو لأنه كان يمسك الكماشة بين أسنانه :

– ماكانش يتعز ·

– طب خمستاشر قرش أجيب علبة رخيصة ؟

– علبة ايه ؟

– مانيكير ·

– مانيكير فى ٢٨ منه ؟ ياشيخة اتقى الله ··

– دول خمستاشر قرش !

– مافيش معايا غير جنيه ، والقبض لسه عليه يومين ·

– أف !

واستدارت لتخرج فسمعته من وراء ظهرها يقول :

– عاوز علبة سجاير ·

فالتفتت فى غيظ ·

– اشمعنى السجاير عندك لها فلوس ؟

– لأنى مقدرش استغنى عن السجاير ·

فهمت بأن تقول وأنا مقدرش أستغنى عن المانيكير ، ولكنهاأحستة بأن ذلك سيكون نوعا من المبالغة ، ووقفت صامتة تنظراليه فى غل، الى جسمه الكبير فى بيجامته المخططة بخطوط طولية زرقاء . وقدميه الغليظتين الراكزتين على خشبة السلم ، فتمنت لو ترى السلم ينزلق به ويسقط على الارض ، سقطة خفيفة طبعا ·

وأخرج هو الكماشة من بين أسنانه قائلا :

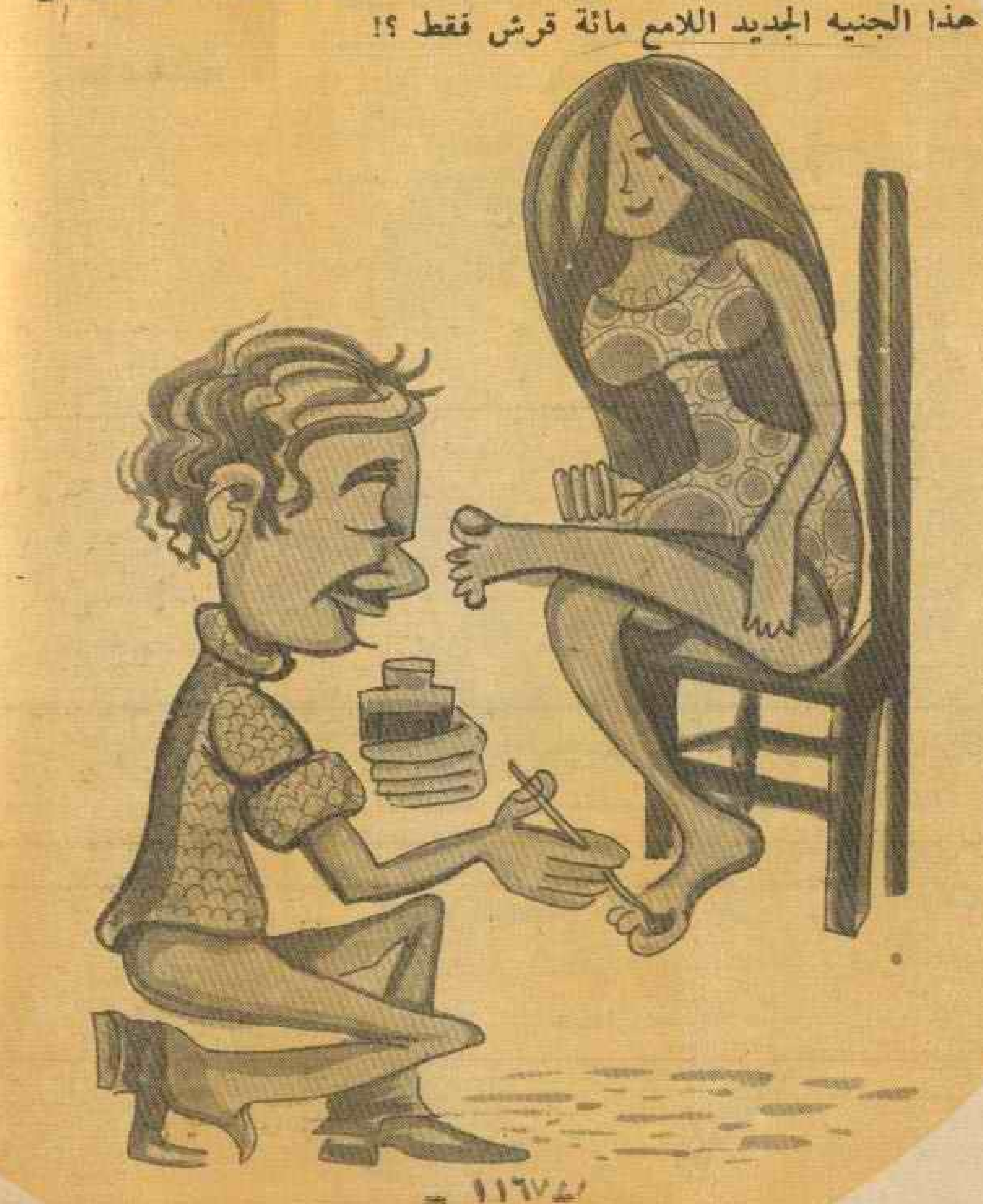
- الجنيه فى جيب البنطلون الشمال ٠

- ما آخد لى منه خمستاشر قرش ؟

- لأ ٠٠

قالها فى ايجاز حاسم وبصق على الارض ، رغم علمه أنها تكره البصق على الارض ، وراح يدق فى السلك الاسود الطويل مسمارا جديدا ٠

وكان فى جيب البنطلون جنيه واحد وعدة قروش فكة ، وكان الجنيه جديدا متماسكا له خرفشة عالية ، أو ليس حراما أن يكون فى هذا الجنيه الجديد اللامع مائة قرش فقط ؟!



- خدى ياسنية ، هاتى لسيدك علبة سجاير ٠ واسمعى (خفضت صوتها) فوتى على الاجزخانة هاتىقزازة مانيكير من أبوخمستاشر٠ أوعى تجيبى الغالية ٠ مانيكير بمبه موش أحمر قوى فاهمه ؟

ان القبض بعد بكره ، وفى الثلاجة بقية من اللحم ، فما فائدة ١٥ قرشا ليوم واحد ؟؟

- فين بقية الجنيه ؟

هكذا سوف يقول ، فتعطيه النقود التى يعدها ويجدها سبعين قرشا ٠

- دول ناقصين ٠٠

فتبتسم فى رقة وتميل برأسها على كتفها الشمال ٠

- ما تزعلش منى والنبى ٠ أصل جبت قزازة مانيكير ٠

فيزغر لها حينا ثم لايلبث أن يلين ، ويتنهد فى استسلام قائلا:

- عمرك ماح تعقلى يا أمينة ٠

كان جالسا يستريح بعد انتهائه من تركيب السلك ، فتقدمت منه وناولته علبة السجاير التى فتحها وأخرج سيجارة أشعلهاوقال:

- فين بقية الجنيه ؟

ومد ساقيه فوضعهما على ترابيزة صغيرة أمامه ، كأسطوانتين كبيرتين فى الخطوط الطولية الزرقاء ، وكان على قدمه الحافية أثر من تراب السلم الخشبى ٠

- فى جيب البنطلون مطرح الجنيه ٠

لأن تأجيل اكتشافه للحقيقة أحسن ، ولانها تنوى - من هنا لاكتشاف الحقيقة - أن تكون قد انتهت من طلاء أظافرها بمزاج رائق ٠٠

- انت خارج النهارده ؟

- أنا معايا فلوس أخرج ؟

فلم تعلق ، وأحس هو بالتراب على قدمه الحافية ، فثنى ساقه جاعلا اياها على ركبته الممدودة ، ومسح التراب عن قدمه بيده ، ثم مسح يده فى بنطلون بيجامته ذات الخطوط الزرقاء ، وكانت لحيته

نامية تحتاج الى الحلاقة ، وشعره مشوشا يحتاج الى التسريح ، ولكن لماذا يهتم بتلك الاشياء وهو باق بالمنزل ؟

ان الرجال لايهتمون بالتزين لزوجاتهم وانما يكتفون بلوم زوجاتهم حين لايتزين لهم ٠

لم يكن لون الطلاء من الدرجة التى تريدها ، ولكنه أحسن من قلته ، وفى أول الشهر تشترى زجاجة من الصنف الغالى الجيد ٠

على حافة السرير جلست ، ورفعت ساقها اليسرى لتضعها على الحافة بجانب ركبتها الاخرى ، وبالفرشاة الصغيرة المبللة بالسائل الاحمر راحت تطلى ظفر أصبعها الكبير ، فالحمد لله أن حمادة اليوم عند عمه ابراهيم ، والا لجننها وهى تقوم بهذه العملية ولربما دلق الزجاجة الجديدة أيضا ٠

نعم ، زجاجة جديدة من الصنف الغالى فى أول الشهر ، وشنطة يد مثل شنطة سلفتها درية ، التى تقول ان ابراهيم قد اشتراها لها من المصنع بنصف سعر السوق ، لان ابراهيم شاطر فى مثل هذه الاشياء ٠ ترى لماذا كان ظفر الاصبع الصغير هو الظفر الوحيد المشقوق من بين أظافر قدمها ؟ أليس غريبا أنها لم تلاحظ ان كانت كافة الاظافر الصغيرة فى أقدام كافة الناس مشقوقة هكذا ؟ هل ظفر درية الصغير ـ مثلا ـ مشقوق بهذه الكيفية ؟

مدت ساقها الى الامام لكى تنظر الى أظافرها اللامعة الحمراء ، ومدت قدمها الاخرى التى لم تصبغ بعد ، فأدهشها أن يتوقف كل هذا الفرق على خمسة عشر قرشا ! فثنت ساقها ووضعت قدمها التى بلا طلاء على حافة السرير ، ومدت يدها الى الزجاجة الموضوعة عن يسارها على مسند السرير الخشبى العالى فاذا بها بدلا من ان تمسك الزجاجة تدفعها واذا بها تسقط على السرير نفسه وفوهتها الى أسفل لكى ينسكب كل مابها من السائل الاحمر ، على المفرش الجديد الذى دفع فيه محمود منذ أيام أربعة جنيهات ، والذى اشتراه له بنصف سعر السوق أخوه ابراهيم الذى هو شاطر فى مثل هذه الاشياء ٠

بقعة كبيرة حمراء على المفرش الاخضر الجديد ، ونقط قليلة فى

قاع الزجاجة التى كانت منذ لحظة واحدة مليئة الى حافتها وكان محمود حافى القدمين ولذلك لم تنتبه الى وصوله الا بعد أن دخل من الباب ، فأسرعت بالقاء فوطة على البقعة الكبيرة الحمراء ٠

ـ بتعملى ايه ؟

ـ بادهن ضوافرى ٠

ـ موش بتقولى القزازة اندلقت ؟

ـ لقيت فاضل فيها حبة ٠

ورفعت بصرها مع الخطوط الطولية الزرقاء ، الى اللحية النامية والشعر المشوش ، وفى عينى زوجها رأت معنى واضحا من الريبة ٠ ثم رأته يقصد الى الشماعة القائمة فى ركن الحجرة ، ويمد يده فى جيب البنطلون المعلق هناك ليخرج الاوراق الزرقاء البالية ويبدأ فى عدها ٠

ـ دول سبعين قرش ٠٠ فين بقية الجنيه ؟

قالت بسرعة وقلبها يدق :

ـ ماتزعلش منى والنبى ٠ أصل اشتريت قزازة جـديدة ٠ بخمستاشر قرش بس ٠ أول الشهر اخصمهم من فلوسى ٠

فألقى بالنقود على السرير فى غيظ وقال :

ـ بقى ده اسمه كلام ؟ نقعد من هنا لاول الشهر بسبعين قرش ؟

ـ يعنى الخمستاشر قرش دول هم اللى ح يزودو يا محمود !

ـ طبعا يزودو ! ثمن علبة سجاير ٠ ثمن رطل لحمة ٠

ـ فيه لحمة فى الثلاجة ٠

فقال بازدراء بلهجة يريد أن يوحى بها أنها تقليد للهجتها هى :

ـ فيه لحمة فى الثلاجة ؟!

وسكت لحظة وهو يحرقها بنظراته ، نامى اللحية مشوش الشعر يقول :

ـ انتى جنسك ايه ؟ ماعندكيش احساس أبدا ؟

فغلى دمها فى عروقها وأرادت أن تنفجر فيه ، ولكنها سكتت وقد ذكرت البقعة الكبيرة الحمراء ٠

استرسل وقد شجعه سكوتها :

– كأن لازم يعنى مانيكير النهاردة ؟ ح تطير الدنيا لو ماعملتيش مانيكير النهاردة ؟

فأجابته فى سخرية :

– اسمه بيديكير !

وأسرعت تقول قبل أن يغضب :

– انت موش عارف ان فيه ناس جايين النهارده ٠٠ أخوك ومراته؟

فتمايل رأسه على كتفيه وهو يقول :

– ولازم يعنى أخويا يشوف ضوافر حمر ؟!

فاجابته فى كبرياء :

– موش أخوك ٠٠ مرات أخوك اللى بتيجى متشيكة على سنجة عشرة !

فازداد تخلع رأسه على كتفيه :

– يا سلام يا ستى ٠٠ والمانيكير والا البيديكير ده هو بس اللى كان ناقصك ؟ هو اللى يخليكى مارلين مونرو ؟! خلاص يعنى كل حاجة كملت عشان ٠٠٠

وقطع جملته وسكت ، ورأت عينيه جاحظتين نحو شىء ما بجانبها ، فتابعت نظره لترى الفوطة منحسرة عن جانب البقعة الكبيرة الحمراء ٠ ومن البقعة الحمراء التى نزعت بصرها لترى رد الفعل فى وجهه ، فى فمه المنفغر وسط لحيته النامية ، ونظرة الجنون اللامعة فى عينيه الجاحظتين ٠

أحست بالخوف وبالرغبة فى الفرار ، فنهضت مسرعة وغادرت الحجرة ، مارة فى الصالة بترابيزة السفرة وعليها المشمع ذو المربعات الخضراء ، محاذرة أن تصطدم بالجزء المدبب من رخامة البوفيه المكسورة ، متجهة عبر الدهليز الصغير المظلم نحو المطبخ حيث توجد حلة المرق على الوابور ، لانها تشعر أنه لو لحق بها ووجدها عاكفة على العمل المفيد فلربما خفف ذلك من ثورة غضبه عليها ٠

رفعت الغطاء عن الحلة التى تغلى ٠ فارتفع منها بخار أبيض كثيف

حار ، وبالكبشة راحت تقلب فيها غير عابئة بالحرارة التى تلسع ساعدها العارى ٠

– والله العظيم عال ! (أتى صوته من بعيد) مفرش بأربعة جنيه ما بقالوش أسبوع ، تبوظهولى عشان تتنيل تحط مانيكير !

مع أنها قالت له أن اسمه بيديكير ، ولكن الغضب يجعل الرجل يتغاضى عن هذه الأشياء ٠ وبعد لحظة سوف يمر فى الدهليز المظلم ويصل الى المطبخ ، وجاءك الموت يا تارك الصلاة ٠ وهى التى تطبخ وتتعب وتشقى ولا تجد ثمن زجاجة مانيكير علما بأنها ما كانت لتحتاج الى تلك الزجاجة لولا الضيوف الذين دعاهم لزيارته أخوه وزوجته وسيشرب كل منهما كازوزة وشايا بما يوازى ثمن زجاجة المانيكير ، ثم يقول لها – وفى قوله تلميح وضيع – أنها تطلى أظافرها لكى ينظر اليها أخوه ابراهيم ، مع أنه يثق فيه ويحبه ويكلفه بأن يشترى له كل شىء من المصنع بنصف سعر السوق ٠

– والله العظيم عال (ها هو قد صار خلفها) مفرش بأربعة جنيه ما بقالوش أسبوع ، تبوظيه لى حضرتك عشان تحطى مانيكير !

انه يظن أنها لم تسمعه وهو يكلم نفسه ولذلك يكرر نفس الجملة ، ولكنها لن تجيبه ، بل لن تنظر اليه حيث وقفت تقلب فى الحلة وسط سحابة من البخار الابيض الحار ٠

– انتى ما عندكيش أى تمييز ؟ ما عندكيش أى تقدير لاى حاجة فى البيت ؟ ابنك يقطع سلك الايريال ، وانتى تكسرى رخامة البوفيه ، والنهارده تبوظى لى مفرش بأربعة جنيه مبقالوش أسبوع عشان تحطى مانيكير ٠٠ ما عندكيش احساس خالص ؟ ما عندكيش دم أبدا ؟ ما تردى على ٠٠ وفى ظهرها أحست بوخزة من أصبعه ، وخزة مفاجئة جعلتها تنفر ، وفى نفرتها تمايلت وأرادت أن تستند بيدها على رخامة المطبخ ، ولكن الكبشة التى تمسكها ضغطت على حافة الحلة التى تغلى وفى لحظة خاطفة أحست بنار موقدة تنبعث من أصابع قدميها ٠

أرض المطبخ غارقة بالمرق الذى سيتحول الى ملوخية خضراء ، نار حامية تشع من قدميها وهى تخرج خافية لتغادر المطبخ وتجرى عبر

الدهليز المظلم ، غير مكترثة بالجزء المدبب من الرخامة المكسورة وهى تدور حول المفرش فى المربعات الخضراء ٠

على السرير تمددت لاهثة غائمة العينين ، تنظر الى قدميها الحمراوين كالدم وتخشى أن تمـد يدها اليهما ، مع أنها تعرف أنها لو ضغطت عليهما بشدة لخف منهما ذلك الالم الشديد الحارق ، ولم تكن تعرف ماذا يصنع الانسان عندما ينسكب عليه حلة ساخنة ، وما كانت تظن قط أنه يمكن أن تنسكب عليها حلة ساخنة ، لان هذه الامور تحدث للآخرين فقط ٠

ولكن الكارثة قد وقعت ولا علم عندها ، كيف تتصرف ، ولا زوجها التى أحست به يدخل من الباب ، ولمحته بطرف عينها واقفا كعهده منفغر الفم ، مثلا مجسما للحيرة والندم والخوف ٠ فلم يلبث الا لحظة ثم خرج من جديد ، وخيل اليها أنها تسمع صوت قرص التليفون يدار ثم أتاها صوت زوجها مرتعدا يقول :

ـ آلو ٠٠ ابراهيم ؟ أنا محمود ٠٠ أمينة اندلقت على رجليها حلة سخنة ٠٠ ما تعرفش الواحد يعمل فى الحاجات دى ايه ؟ الميه الباردة مضرة ، موش كده ؟ زعق شوية مش سامع ٠٠ آه ٠٠ هيه ٠٠ أيوه ٠٠

مسالة اعصاب

يؤكد لى احد الاصدقاء انه لا يتعاطى الخمور للمزاج ، وانما لمواجهة المواقف التى يعلم ان اعصابه لن تحتملها ٠ وبسؤاله عن نوعية تلك المواقف قال :

ـ هى اعصابى بقت تحتمل اى موقف ؟!



قاموس الحياة

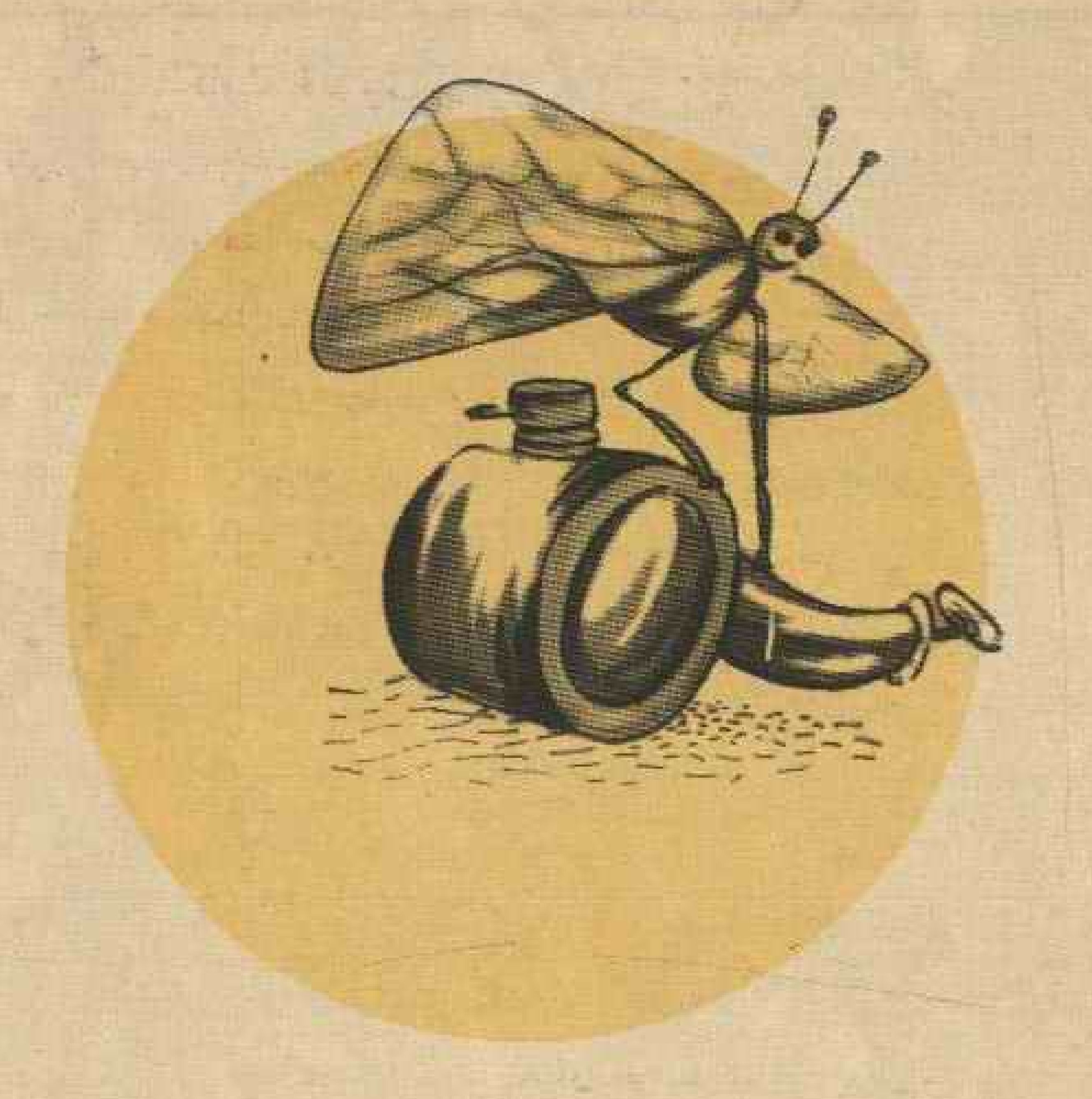
قال موظف الهجرة الامريكى للمهاجر المصرى :

ـ الى اى الولايات تريد ان تذهب ؟

فاجابه وهو يهرش :

ـ اى ولاية فيها ناموس ٠٠ لكيلا اشعر بالحنين الى الوطن !

مأساة فى الصيف



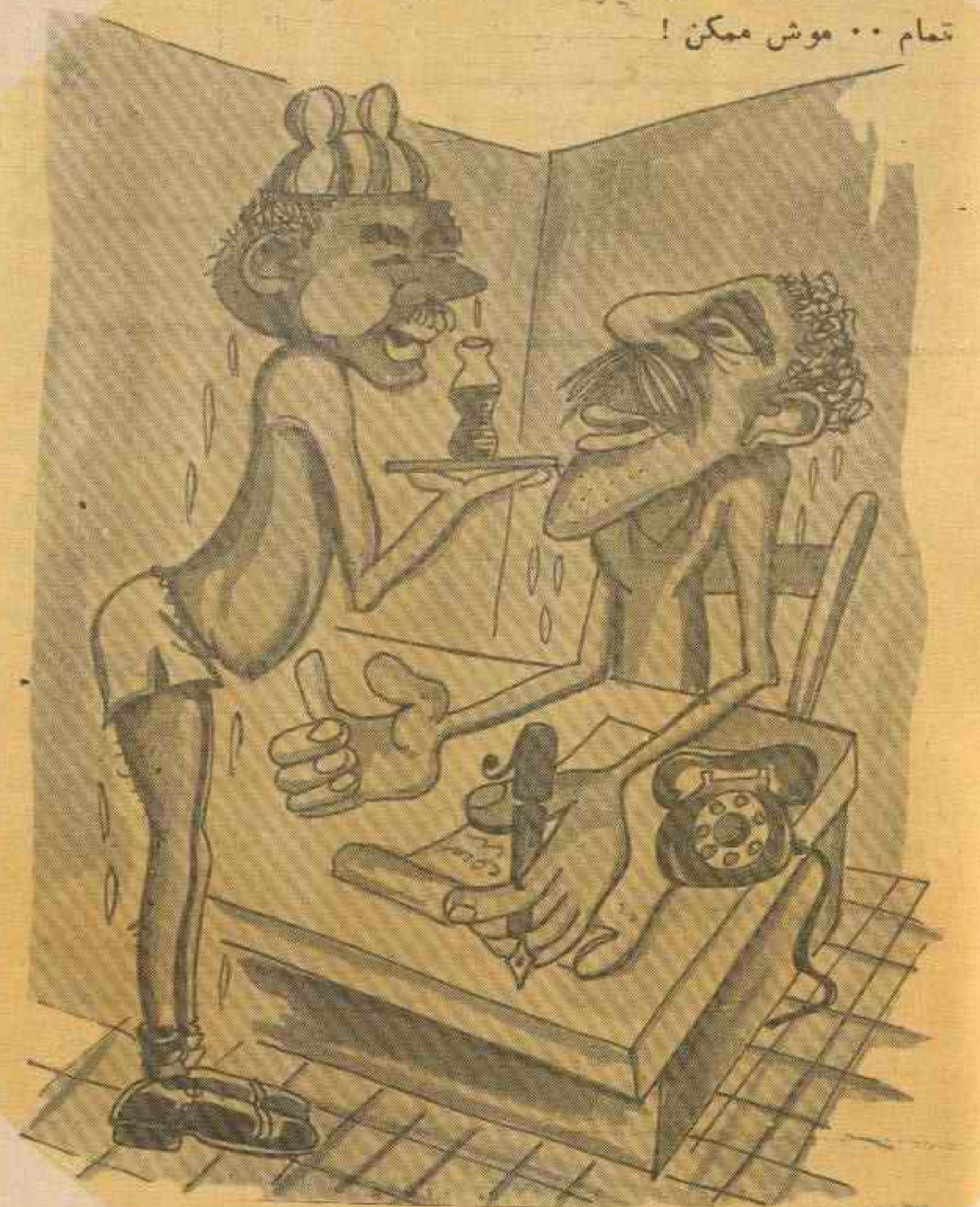
ماهو الصيف عندك لا ادرى ، فقد يكون المصيف الذى ستسافر (يا بختك) اليه ، وقد يكون متعة اجتلاء المناطق الجديدة التى انحسر عنها المد من اجسام النساء فى موجة الحر ، وقد يكون قوالب الكاساتا والجيلاتى، وقد يكون اى شىء آخر تعرفه انت اكثرمنى

أما عندى أنا ــ وقد تقرر بقائى فى القاهرة ــ فليس الصيف الا شيئا واحدا هو الناموس ، جحافل الناموس التى نحاول نحن سكان الهرم أن نجد لنفسنا بينها مكانا تحت الشمس ، والتى كانت سببا فى هذه المأساة التى أريد أن أقصها عليك ٠
أبدأ بالاشارة الى ما اضطررت اليه بسبب ظروف منزلية خاصـــة من المهاجرة من حجرة النوم الى حجـــرة المكتب بقصـــد المبيت ، وكيف ملأت (البخاخة) بالفليت وشرعت (بعد أن تأكدت من أنه ليس زيت زيتون) أبخ الحجرة بخا متواصلا لمدة ساعة لاغير ، اذ ان الناموس كان فى تلك الليلة قليلا نوعا ٠

فما كدت أنتهى من هذه العملية حتى حانت منى لفتة الى السقف فرأيت زميلى الذى تعرف اننى أقاسمه حجرة المكتب ــ وهو البرص ــ خارجا من مخبئه وراء شيش النافذة وقد بدا عليه غضب غير مألوف، ماحثا كما يبدو من أمره عن السبب فى انتشار تلك الروائح الكريهة فى حجرته ، تلك الروائح قد لا تقتل برصا كبيرا قويا مثله ، ولكنها لا شك باضافتها الى صوت (البخاخة المزعج) تهبط بالجو المحيط به الى الحد الادنى لما يمكن أن يسمى بالحياة البرصية الهادئة ٠

وهنـاك على السقف رأيته يتجول بعصبية واضحة حتى انتهى الى نقطة بدت له لسبب لا أدريه أقل تعرضا للخطر ، وهى نقطـة فوق السرير الذى نصبته فى جانب من الحجرة ، أو فوق الوسـادة اذا شئت الدقة التامة ، وأطفأت النور واستلقيت على السرير متثائبا ، اذ سمعت هذه المحاورة الصغيرة تدور بينى وبين نفسى ٠

ــ افرض يا واد انك اتثاوبت تانى ٠٠ موش ممكن !
ــ ممكن ٠٠
ــ وافرض البرص وقع من السقف ٠٠ مش ممكن !
ــ ممكن ٠٠
ــ وافرض أن الحادثتين حصلوا فى نفس اللحظة ٠٠ موش ممكن !
ــ ممكن ٠٠
ــ وافرض أن البرص كان ساعتها فى نقطة استراتيجية فوق بقك تمام ٠٠ موش ممكن !



— ممكن ..

فما هى نتيجة دخول برص فى فم رجل ؟؟ اننى لا أذكر أن أحدا زودنى بهذا النوع من المعرفة عن طريق تجربة شخصية له ، وكذلك لا أذكر أننى قرأت أى بحث علمى –أو حتى شبه علمى– فى الموضوع ولكن استخدام ذكائى الخاص فى الامر أوصلنى الى النتائج التالية :

● من الناحية الذوقية أستطيع أن أجزم (وأعتقد أنك توافقنى معى هذا الجزم) بأنها لن تكون تجربة سارة .

● من الناحية الفلسفية (بوصف التجربة امتحانا شائقا لقانون الصدفة) أستطيع أن أجزم من جديد بأنها لن تكون تجربة مسلية حتى بالنسبة لرجل عنده روح فكاهية، اذ أن آخر لحظة تخطر للرجل فيها أن يضحك (ولو كان مارك توين نفسه) هى اللحظة التى يتصادف فيها أن يكون فى فمه برص .

● من الناحية الصحية لا شك أنها ستكون تجربة ضارة ، بسبب ما قد يكون عالقا بالبرص من الميكروبات الضارة ، وبسبب ما قد يلجأ اليه البرص – على سبيل رد الفعل الانعكاسى – من الاحتماء فى أول ثغرة تصادفه فى بيئته الجديدة وهى حلقى أنا ، ذلك العمل الذى أعتقد (وان كنت لا أستطيع أن أجزم) أنها ستكون سببا فى تعرضى لما يسمونه بالاسفكسيا .

فما كدت أصل الى هذه النقطة من حبل خواطرى حتى وجدتنى أقفز من السرير وأضىء النور ، وأسرع باستحضار عصا طويلة من فوق دولاب المكتب ، لا لكى أقتل البرص بها كما قد يكون خطر لك مدفوعا بنزعة دموية متخلفة فيك من أيام الهمجية البشرية ، وانما لكى أخيفه وأطرده الى بيته الذى يكفى فيه كل منا شر أخيه .

بالعصا الطويلة أخذت أنقر له على السقف كى يخاف ويبتعد ، كل نقرة تجعله يبتعد عدة سنتيمترات ، ثم يتوقف ، حتى وصل بعد نحو من عشرين نقرة الى قرب منزله ، وكاد يأوى اليه ، لولا ما استولى عليه عند آخر نقرة – ذلك الجبان – من الذعر الذى

جعله يلقى بنفسه من السقف على الارض ، ذلك العمل الذى أوقعنى فى مشكلة جديدة محيرة .

ولكى تفهم معى هذه المشكلة يجب على أن أعدل عن الكذبة التى بدأت بها هذه القصة ، وهى الخاصة بالسرير الذى قلت لك أننى نصبته فى جانب من الحجرة ، اذ أننى فى الواقع لم أنصب سريرا وانما نصبت (أنت موش غريب) مرتبة لا غير . وهكذا تتبلور المشكلة فى الصورة الآتية :

● لنفرض أن ذلك اللعين زحف على الارض حتى وصل الى المرتبة فاعتلاها ونام معى ، ماذا أفعل ؟ اننى طبعا – مهما بلغ حبى لكافة مخلوقات الله – لا يمكننى أن أصل من هذا الحب الى الدرجة التى تجعلنى أدعو كل من هب ودب منهم لكى يقاسمنى فراشى ، ولايمكننى (اننى بشر) أن أكون فى حالة نفسية مثالية وأنا أشعر أننى نائم وفى حضنى برص .

نقرتان أو ثلاث على الارض بقصد ارغامه على الصعود على الحائط ، ولكنه رفض هذا الاجراء رفضا باتا وأصر على أن يجرى على الارض ، الامر الذى وصل به الى قرب باب البلكونة المقفل ، ووصل بى أنا الى ما يسميه السينمائيون صراعا بين العقل والعاطفة ، ذلك الصراع الذى انحسم سريعا بانتصار العقل (مع احتمال أن تكون التى انتصرت هى العاطفة) – اذ فتحت له باب البلكونة فانطلق منه كالمجنون هائما على وجهه .

أين أتجه لا أدرى .. هل نزل الى الحديقة ؟ أو عثر على ثغرة ما ردته من جديد الى المنزل ، أم ماذا ؟ لا أدرى .. كل ما أدريه هو أننى عندما نظرت فى البلكونة فى الصباح لم أجده هناك ، وأن خمسة أيام كاملة قد مرت دون أن أراه على سقف حجرة مكتبى .

انها سنة الحياة التى لا تتبدل ، وغريزة المحافظة على البقاء ، وأنانية الفرد التى تجعله يتخلى عن أصدقائه بمجرد أن يتنسم من ناحيتهم رائحة الخطر ، حتى ولو كان خطرا لا حيلة لهم فيه ، كان

يصاب صديق للرجل بالجرب فيقاطعه ، أو تصاب زوجته بالسل فيطلقها ، والى آخر ما يمكنك أن تضربه من الامثلة ٠

ولكن شيئا من هذا الكلام الذى أسوقه لنفسى على سبيل التعزية، لا يمكنه أن يخفف من احساسى ببشاعة العمل الذى ارتكبته بطرد كائن من بيته ، ولا يمكنه أن يمحو من ذاكرتى صورة ذلك البرص المسكين وهو ينطلق كالمجنون من الحجرة الى البلكونة ، راكضا بأقدامه المذعورة على البلاط الساقع ، ملقيا بنفسه ـ فى أغلب الظن ـ الى الحديقة ، حيث يربض بين الاعشاب لاهثا واجف القلب ، مرهف السمع الى دقات العصا التى كانت تطارده منذ لحظات ، والى آلاف الاصوات الغامضة الجديدة التى ستبدأ فى مطاردته فى الحديقة المظلمة ، بعضها أصوات كائنات تريد أن تأكله لكى تعيش ، وبعض أصوات كائنات مذعورة مثله تجرى لتنجو بحياتها بين أخطار الظلام ٠٠

خواطر حزينة قاتمة تملأ على نفسى ، ولا فائدة من طردها بغير تنهدات مغتصبة من الاعماق وأنا أقول لنفسى :

ـ سى لا فيه ٠

يعنى هذه هى الحياة ٠

تراب

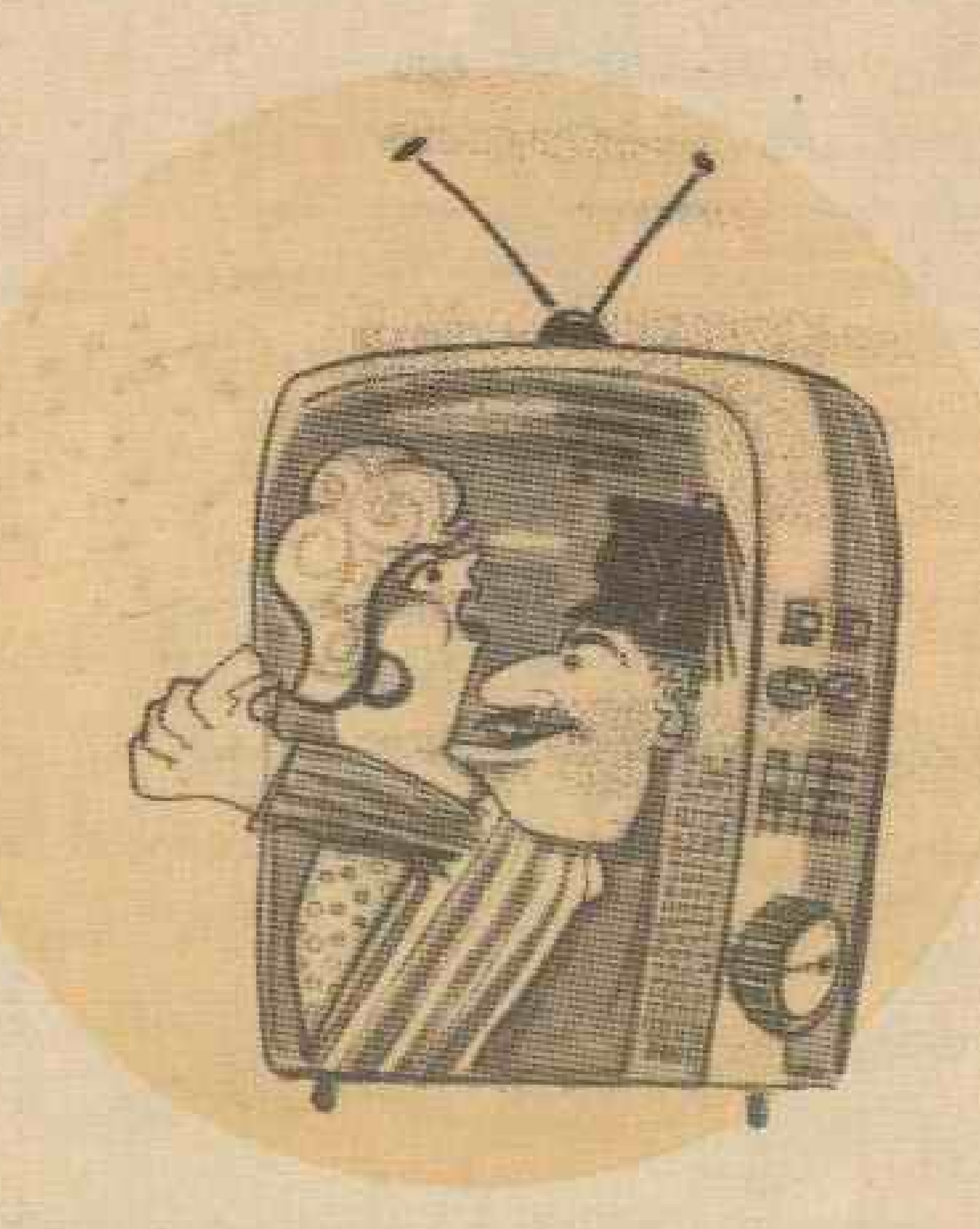
بعد كل التراب الذى استنشقته مساء يوم الاحد الماضى ، ادهشنى ان اصحو فى الصباح فاجد أن جبل المقطم مازال موجودا !



يا ليل يا عين

الفرق بين الانثى الرشيقة المكسمة ، والاخرى البدينة المترهلة المفشولة ، هو نفس الفرق بين الاغنية الغربية والاغنية المصرية !

جرائم القتل الأدبية



كنت أشعر بالفخار بسبب احساسى باننى صديق شخصى للكاتب الكبير نجيب محفوظ ، ذلك الرجل الذى حسبك من أهميته أنك كنت طوال تلك الاسابيع لا تفتح جريدة أو مجلة أو راديو أو تليفزيونا ألا تقرأ أو تسمع أو ترى مناقشة أو خناقة بصدد خاتمتى قصته بداية ونهاية وأيهما أحسن : خاتمة القصة كما كتبها نجيب محفوظ فى الرواية أو خاتمتها كما صورها صلاح أبو سيف فى الفيلم ؟؟

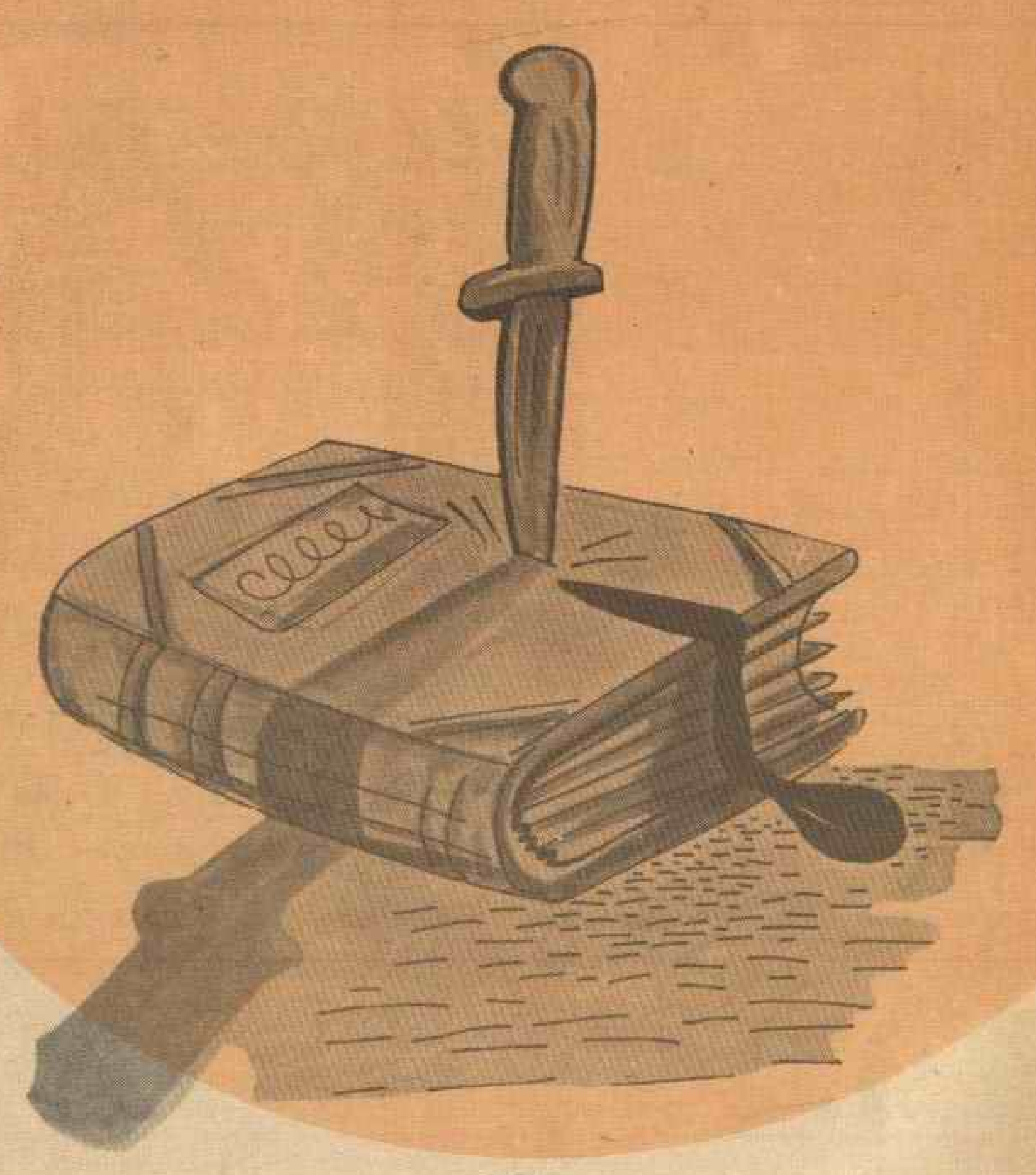
نعم كنت فخورا وسعيدا ، الامر الذى لا يتعارض بالمرة مع كونى غير موافق على كل من النهايتين !

وقبل أن أشرح السبب فى ذلك أحب أن أسجل اعجابى الشديد بذلك الفيلم ، وكيف تمنيت عند مشاهدته أن أجد صلاح أبو سيف بجانبى لكى أطبع قبلة على وجنته اليسرى ، ذلك الشعور الذى ساورنى عكسه تماما وأنا أشاهد فى التليفزيون فيلمه القديم لك يوم يا ظالم ، الامر الذى يدلك على مدى الطفرة التى حققها صلاح أبو سيف فى هذه الاعوام العشرة ، والتى نقلته ـ فى نظرى ـ من مخرج محلى الى مخرج على مستوى عالمى ٠

لقد حدث من قبل أن نجح مخرجون فى تقديم أفلام جميلة لانها تصور الجمال الكامن فى جو القصة وبيئتها ، ولكن هذه أول مرة ينجح المخرج فيها فى أن يقدم فيلما جميلا لانه يصور القبح الكامن فى جو معين وبيئة معينة ٠ فمن السهل على أى مخرج أن يصور لنا قبلة عاطفية طويلة الذى بين شاب محفلط وأنثى متلوية، ولكن أصعب

شىء أن يصور لنا منظر هتك عرض يقع على فتاة دميمة من صبى بقال يلبس جلابية وجاكتة وطربوشا مطبقا !

ونفس الكلام يسرى على التمثيل ، ولا حاجة بى الى أن أضيف مديحا جديدا لسناء جميل أو أمينة رزق أو فريد شوقى ، أو صبى البقال صلاح منصور ٠ وكذلك الحال مع الجندى المجهول مؤلف الموسيقى التصويرية فؤاد الظاهرى ، وسائر النوابغ الذين تكاتفوا لابراز مفاتن القصة الكبيرة التى كتبها نجيب محفوظ ، وهو ما لا



يتنافى – كما أسلفت – مع كونى لا أوافق لا على خاتمة الفيلم ولا على خاتمة الرواية ٠

النفسية الانتحارية

لكى تنتحر الشخصية الروائية – فى نظرى – يجب أن تكون فيها من البداية بذور النفسية الانتحارية ، تلك النفسية التى تقضى على صاحبها بأن يقتل نفسه بمجرد ظهور السبب مهما كان تافها ، فان لم يظهر السبب من نفسه خلقه من عنده خلقا ، لكى ينفذ فى نفسه عقوبة الاعدام التى يشعر – من سن الثالثة على الاكثر – أنه يستحقها ٠

تلك النفسية لم ألمسها لا فى نفسية بطلة الرواية ولا – قطعا – فى حسن بطلها ، اذ رأيناه من البداية شابا خبيثا يحب الاكل والراحة لا سيما اذا كانا على حساب غيره ٠ وكان شديد الطموح أيضا ٠ ولذلك تنكر لخطيبته – بعد أن كبر – التماسا لعروس جديدة تليق بالمقام ٠ كما تنكر لاخيه المنحرف الذى لولا انحرافه لما وجد سى حسن نقودا ينفق منها على حياته غير المنحرفة ٠ مثل هذه الشخصية لا ألمس فى صاحبها أى احتمال للتفكير فى الانتحار لمجرد أن « الآنسة » أخته ضبطت فى منزل مشبوه ، خصوصا وقد اتضح له أن جانبا اخر من المال الذى كان ينفق منه قدخرج من أمثال ذلك البيت ٠

نعم انه قد يفكر – نزولا على العرف الاجتماعى السائد فى بيئات ليس هو منها – فى أن يقتل الآنسة المنحرفة محوا للعار ، ولكننى اعتقد أنه لن يلبث – وهو ذلك الشاب الطموح الانتهازى – أن ينبذ تلك الفكرة التى ستقضى على مستقبله حتما ٠ بل أنه مستبعد منه أن يوافق على فكرة انتحار الفتاة الخاطئة نفسها ، لعلمه أن انتحارها هو الذى سيجلب القضيحة التى يمكنه أن يتلافاها بأن يكفى على الخبر ماجورا ٠

أى أنه لا مناسبة – فى نظرى – لانتحاره الفعلى كما حدث فى الفيلم

ولا حتى لتركه يفكر فى الانتحار حيث وقف على كوبرى الزمالك كما حدث فى الرواية ٠

والامر أصعب بالنسبة لنفيسة التى عاشت حياتها تكره النظر فى المرآة لدمامتها ، والتى أيقنت أنها لن تتزوج ولن تهرب من الدائرة المشئومة – والمشبوهة – التى انزلقت اليها ، وان كنت أرى انه حتى هذه الظروف ليس من شأنها – وحدها – أن تدفع الى الانتحار بشخصية غير انتحارية بطبعها ٠

لعلنى غلطان ، ولكننى لا أدرى لماذا لم تبد لى نفيسه فى أى من حالاتها شخصية انتحارية ، ولو كنت أنا كاتب تلك الرواية ووصلت الى الموقف الذى يدعوها فيه أخوها الخبيث الى الانتحار لجعلتها تقول له :

– يه جك نيلة ٠٠ بدل ما تقول لى انتحرى ادفع النص ريال اللى عليك ٠٠ قطيعة !

فكرة العقاب

وليس اعتراضى على فكرة انتحار البطلات مقصورة على نفيسة ونجيب محفوظ ، بل اننى ضد كل انتحار لا تبرره أسباب نفسية واضحة ، سواء كان انتحار ايما بوفارى على يد فلوبير ، أو انتحار آنا كارنينا على يد تولستوى ٠ فلا أنا لمست بذور النفسية الانتحارية فى السيدة ايما ، ولا لمستها فى السيدة انا ، وانما لمست فيمن كتبوا تلك الروايات رغبة سادية فى انزال العقوبة التى يباركها المجتمع على الخاطئات المسكينات ، ذلك المجتمع الذى قد يبلغ درجة من القسوة لا يكتفى فيها بقتل الكاتب لبطلته الخاطئة ، فيقدم الكاتب نفسه للمحاكمة كما حدث مع فلوبير !

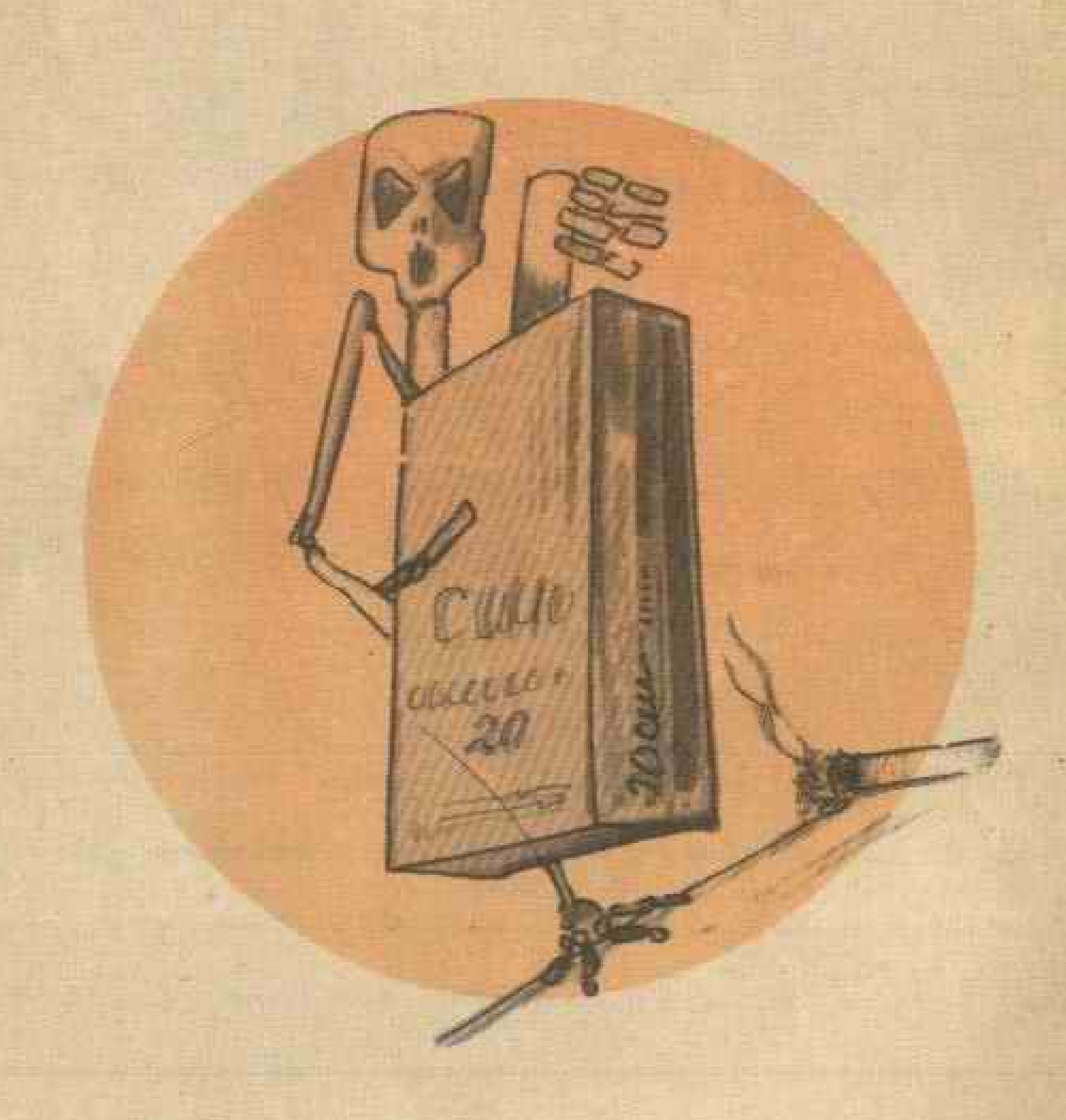
نعم أن الكاتب مضطر الى أن يجامل المجتمع على قدر الامكان ، ولكن ايقاع العقوبة على الشخصية الخاطئة يمكن أن يتم باشكال غير قتلها ، وبالنسبة لنفيسة بالذات أرى أن موتها عقوبة أخف بكثير من تركها تواصل حياتها البشعة المهينة ، لكى تشعر كل يوم ويشعر معها – بمدى جناية الظروف الاجتماعية عليها ٠

وأنا لا أعرف من أين اكتسب كتاب الرواية العصرية هذه النزعات الدموية التى تغريهم بقتل الشخصيات والتمثيل بها . وأغلب الظن أنهم اكتسبوها من كتاب الدراما ، لا سيما الدراما الشعرية التى يبدو أن الموت والقتل والانتحار شرط أساسى فى انتظام أوزانها وقوافيها ! ولعل رجلا كشيكسبير - فى سعيه الى المزيد من الدماء - تعمد أن يكتب مآسيه فى جو البلاطات التى يتم القتل فيها على سبيل التسلية ، كما تعمد أن يستوحى الكثير من موضوعاته من قصور النبلاء الايطاليين الذين كانوا يضعون زجاجة السم على موائدهم جنبا الى جنب مع الملاحة !

ومن أين - ستسأل - اكتسب كتاب المآسى الشعرية هذه النزعات الدموية العنيفة ؟ من كتاب المآسى الشعرية فى العصر الاغريقى طبعا ، أولئك الكتاب الذين لم يكن غريبا أن يكثر عندهم القتل والانتحار وهم يعيشون فى تلك البيئة الاسطورية الرهيبة تحت سماء حافلة بالآلهة التى يبدو انها خلقت الانسان ثم ندمت ، ولذلك تتفنن فى ايذائه ما وسعها التفنن ، تماما كما تتفنن فى ايذاء بعضها البعض وتشترك فى معارك سماوية يسقط فيها أكثر من اله قتيلا !

فهى العدوى كما ترى ، من الدراما الاغريقية الى الدراما الحديثة الى الرواية النثرية العصرية ، تلك العدوى التى مازالت تحدث أثرها فى عصر الفكر الجديد ، وترغم الكتاب على أن يصدروا أحكام الاعدام على الخطاة فى رواياتهم ، فى نفس الوقت الذى يفكر فيه المصلحون فى الغاء عقوبة الاعدام من المجتمع نفسه !

سجاير وسرطان



هى فكرة لاتخلو من الوجاهة ، الفكرة الامريكية التى تهدف الى الزام شركات السجائر ان تكتب على كل علبة انها تحتوى على سلعة ضارة تسبب السرطان . لاشك ان الانسان سوف يتردد فى تناول السيجارة بعد ان قرأ على العلبة هذا التحذير المخيف، تماما كما يتردد فى تناول جرعة من زجاجة صبغة اليود التى رسمت عليها جمجمة وعظمتان .

لكنها

فى الوقت نفسه فكرة خطيرة ، وقد تؤدى الى الاضرار بالمدخن عن أحد طريقين :

من المعلوم – أم تراك لا تعلم ؟ – أن فى التدخين بذرة من التمرد ، اذ يبدأ دائما فى فترة الشباب وسط احتجاجات الكبار الذين لا يريدون للشباب أن يتورط فى تلك العادة الذميمة ، تلك الاحتجاجات التى يقابلها الشاب بسحابة دخان ينفخها فى وجه الكبار قائلا طظ ! وتمر الايام والسنوات وينسى الرجل هذا الموقف النفسى ، ولكن هذا النسيان لا ينفى أن عنصر التمرد باق عنده فى شكل تيار تحتى ، وأن كل نفس ينفخه فى وجه الناس انما يحتوى على نفس الشحنة المتمردة الاولى . فاذا كتبنا له على العلبة انها تسبب السرطان ، أليس من الممكن أن نكون قد أعطيناه بذلك مبررا جديدا لمزيد من التمرد ، خصوصا أننا قد زودناه بهذه المتعة النفسية الجديدة ، متعة أنه يتمرد ويعاقب على تمرده فى الوقت نفسه ؟!

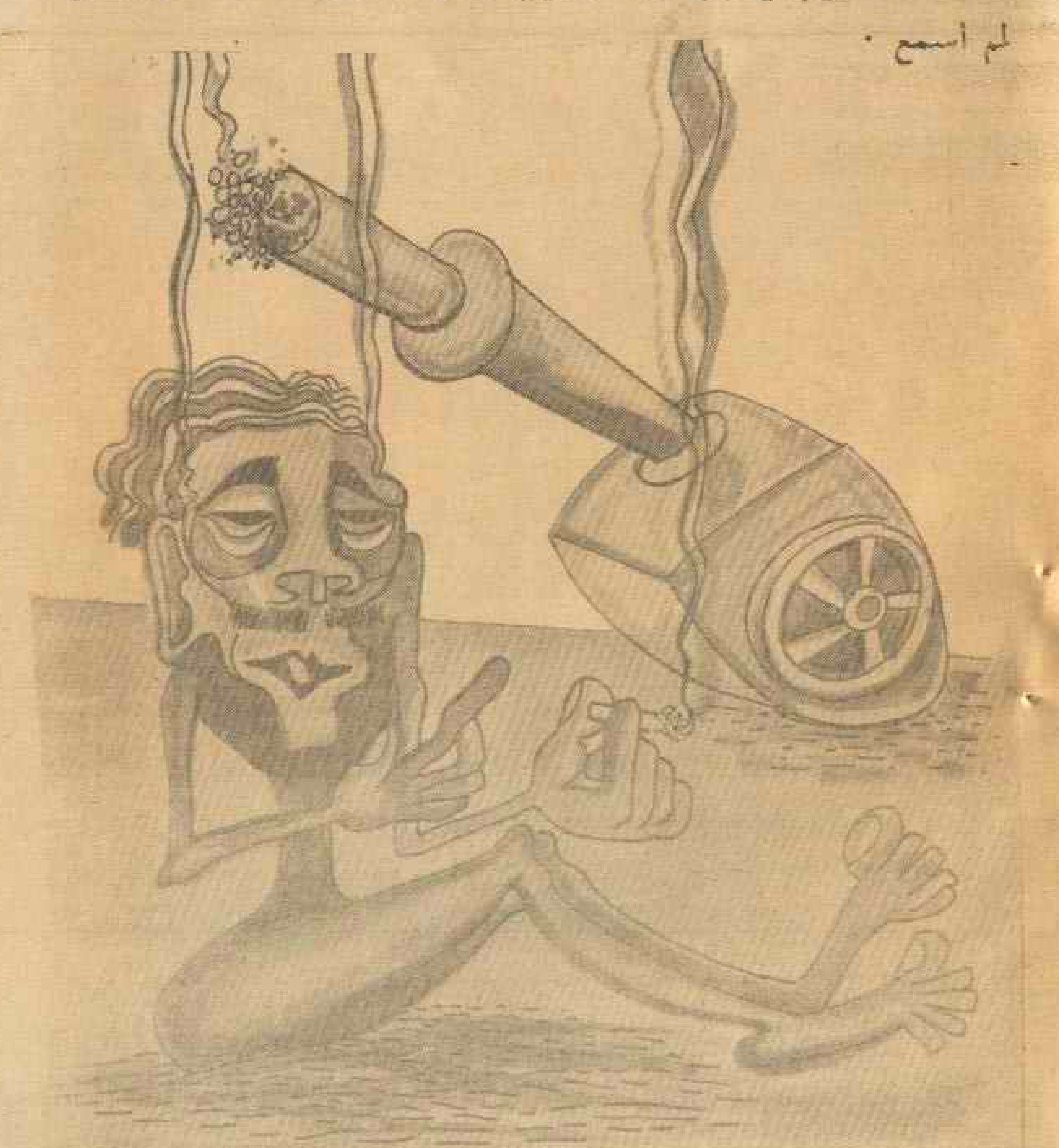
ومن المعلوم أيضا – ولا دى كمان موش عارفها ؟ – أن الوهم من الاسباب الرئيسية لكثير من الامراض : فلماذا نعرض المدخن – مع كل سيجارة يخرجها من العلبة – لذلك الوهم المخيف بأنها ستصيبه بالسرطان !؟ انه يعرف هذه الحقيقة من الاول – حقيقة علاقة السجائر بالسرطان – ومع ذلك لم تمنعه من التدخين ، فما الداعى الى اتلاف نفسيته عن طريق تذكيره بها فى كل لحظة من حياته التدخينية ؟ ان هذه العملية قد تكون سببا فى اصابته بالسرطان فعلا ، أو بغيره من أمراض الصدر ، أو على الاقل تملأ نفسه بمخاوف لا لزوم لها كلما

سعل وكلما شعر بوخزة عارضة فى صدره ، فلماذا نسبب له هذا العذاب ونحن نعرف مقدما أنه لن يمتنع عن التدخين ؟

والى جانب ذلك سوف تتسبب هذه العملية لى أنا الاب المدخن فى متاعب لا لزوم لها بالمرة ، اذ يرانى ولدى الصغير افتح العلبة فيقول لى :

– بابا انت ما قرتش المكتوب على العلبة ؟ فأتظاهر باننى لم اسمع

– ده مكتوب يا بابا انها بتجيب السرطان وبرضه اتظاهر باننى لم أسمع .



ـ انت عاوز تاخد سرطان يا بابا ؟ وهنا أضطر الى أن أقول له لا

ـ أمال بتشربها ليه ؟ فأعود الى الصمت

ـ طب أنا ما بشربش ليه يا بابا ؟ فاضطر الى الكلام

ـ عشان انت لسه صغير

ـ يعنى لما أكبر أبقى أشرب ؟

فأزهق وأقول اه

ـ وآخد سرطان ؟!

فماذا أقول له سوى غور من وشى يا ولد ؟!

ويغور وأنا أعرف ماذا يدور فى دماغه ، أنه مادام الكبار يشربون السجائر التى تعرضهم للسرطان ، فماذا لا يشعل هو عيدان الكبريت التى تعرضه للحرق ، ولماذا لا يتشعبط على النافذه التى تعرضه للسقوط ، ولماذا لا يأكل اللب بقشره والعنب ببذره الى آخر هذه الاشياء التى ان وجعت بطنه فلن تعرضه للسرطان ؟

وبالنسبة لهؤلاء الاولاد لا أظن أن كلمة السرطان على علبة السجائر سوف تمنعهم من التدخين مثلنا عندما يكبرون · مائة فى المائة سوف ارى السيجارة فى يد ولدى ذات وهو ينفخ دخانها فى وجهى بغير تمرد هذه المرة وانما بابتسامة خبيثة وهو يقول لى :

ـ يا سلام يا بابا ·· أسيبك تاخد سرطان لوحدك ؟!

يوميات صيفجرية..!!



كان فى نيتى هذا الاسبوع ان اواصل جهودى المشكورة فى سبيل تعديل النظريات العلمية الخاصة باصل الحياة ، لكننى عدلت عن ذلك قائلا لنفسى وانا - ياواد - لاتمارس الحياة نفسها ٠

وفى السطور التالية سوف تجد التقرير شبه المفصل عن الممارسة المذكورة ٠

الجمعة

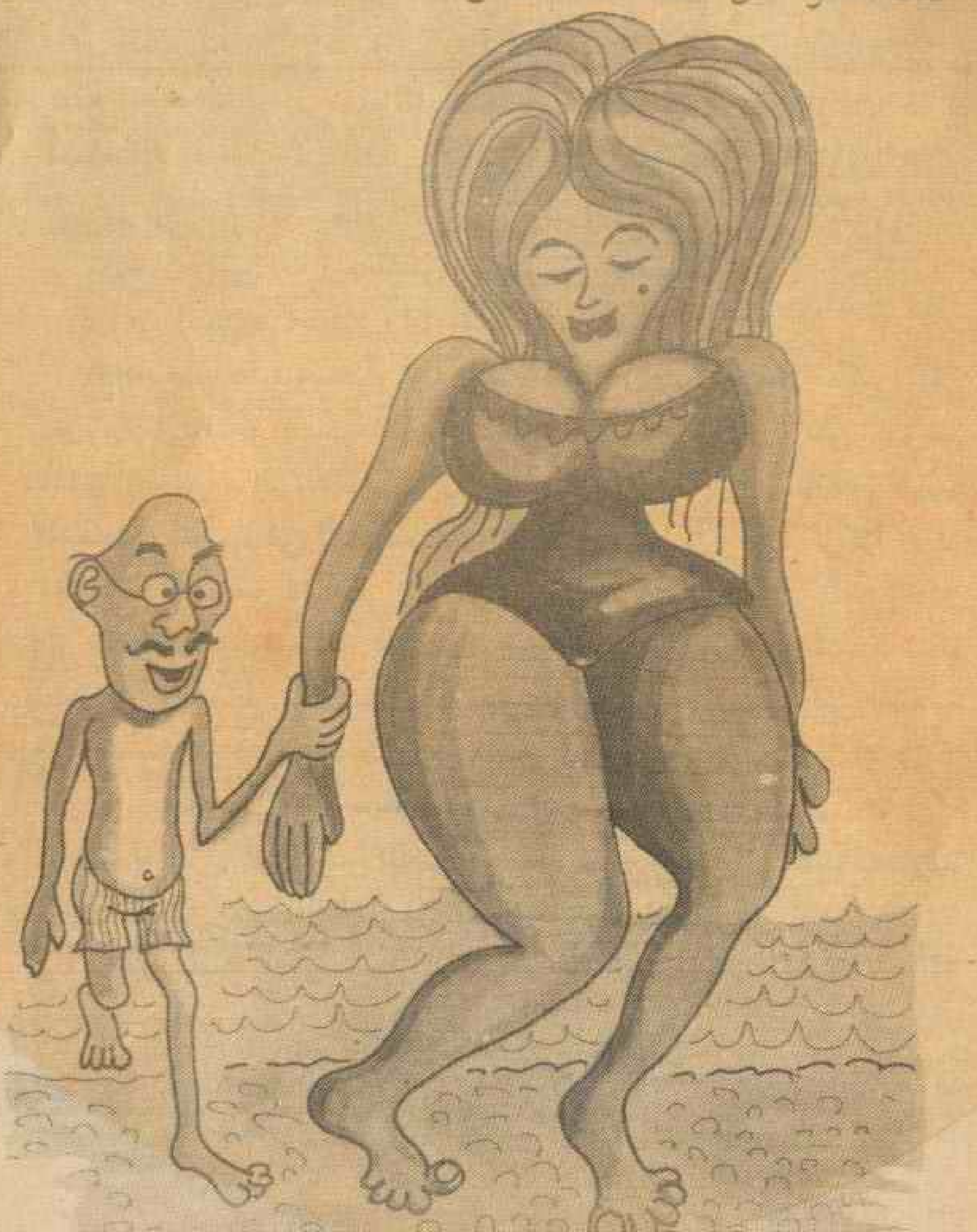
مساء سحبت الزوجة والعيال ونزلنا نتمشى فى شارع الكورنيش ٠ شايف الممارسة ؟ وبينما هم ينحتون فى الذرة الشـــوى ويلهطون فى التين الشوكى - ببذره - كنت أنا مشغولا بممارسة الناحية الكسائية من الحيـــاة الصيفبحرية ٠ البنطلون فيما يبدو قد أصبح الزى الرسمى لحريم البلد ، تكاد العين لا تعثر على انثى فى ذلك الزى العتيق المسمى بالفســـتان ٠ بنطلونات حمراء وزرقاء وسوداء وبيضاء وعلى كل لون ، تسودها جميعا صفة مشتركة هى أن كل بنطلون على كل فتاة هو قطعا وجزما بنطلون أختها الصغرى ظاهرة سكندرية لا أستطيع تفسيرها بالضبط ، لا أعرف على وجه التحقيق هل البنات يلبسن البنطلون لانهن فى الاسكندرية أو انهن يأتين الى الاســـكندرية لكى يلبسن البنطلون ٠ وعلى أى حال فهى ظاهرة لا بأس بها أبدا ، بما تسبغه على الحياة من لمسة فرويدية جميلة ٠ مايوه فى الصباح وبنطلون فى المساء ، ماذا تطلب الانثى الاستعراضية أكثر من ذلك ، وماذا يطلب الذكر البصاص ؟

فما بين الذرة والتين الذى لهطته الاسرة ، وما بين البنطلونات التى مارستها أنا ، عدنا جميعا الى البيت متخمين ٠

السبت صباحا : وجدتنى جالسا فى الطابق العلوى من أحـــد الكازينوهات البحرية ، أبحلق الى البحر الازرق العريض وأشـعر بميل خبيث الى أن أفكر فى أصل الحياة ، ذلك الميل الذى ربما كان يغلبنى لولا أن اتجهت عينى بالمصادفة الى الطابق السفلى من الكازينو هناك على الســـور الصخرى للطابق المذكور رأيت ذلك المنظر الذى لايراه الرجل القاهرى الا فى الاعلانات ، منظر أنثى حسناء - بالمايوه تأخذ حماما شمسيا ، وهو فى الوقت نفسه - اذا لا حظنا عدد العيون التى تركزت عليها بجانب عينى - حمام بصرى ٠

- بتبص ، سالتنى زوجتى ، على ايه ؟
- لا ، اجبتها ، ولا حاجة ٠

وكانت فى ناحية من المائدة لا تتيح لها لحسن الحظ أن ترى المنظر ذلك المنظر الذى أعتقد انك تعذرنى اذا كان قد استغرق كل انتباهى



فى الدقائق اللاحقة . هو لا شك منظر جـذاب ، منظر الاشـعة البنفسجية وهى تؤدى رسالتها الصحية على تلك البلايين من الخلايا البشرية المعرضة للشمس ، محسودة بالطبع من سائر الخلايا التى يحجبها المايوه . غير أنه – ذلك المنظر صـدقنى – ما لبث أن فقد جاذبيته بعد حين ، أخذت عليه عينى وأصبح شيئا عاديا . نعم ، ماهى الا دقائق حتى كنت أنظر الى تلك البنت وكأنها زوجتى تماما . فلا أشك فى أنه لو كان مايوها بكينيا لسشمته بنفس الطريقة بعد حين الامر الذى يجعلنى استغرب لماذا تقوم تلك المعارضة الشديدة – فى كافة أنحاء العالم – ضد المايوه المسمى باللامعقول . فلو أنه شاع استعماله لما حظى من التفات الناس بأكثر مما يحظى به المايوه الآخر العادى ، الالفة كما يقول الانجليز تولد الازدراء .

– سارح فى أيه ؟ سألتنى زوجتى من جديد .

– فى أصل ، أجبتها وأنا أتنحنح ، الحياة .

الاحد صباحا : استعار ولدى من بعض الاقارب منظارا مكبرا لكى يصوبه الى البحر ويستكشف به مدى ضخامة البواخر التى تعترض الافق البعيد ، اذ أنه مازال فى تلك السـن التى تستخدم فيهـا النظارات المكبرة فى التلصص على السفن فحسب . فلما تركها الولد تناولتها أنا وصوبتها الى المكان الطبيعى بالنسبة لرجل ناضج مثلى الى تلك الناحية البعيدة التى ألمح فيها شبحا لسيدة ترتدى فستانا أحمر . وبضبط العدسات بما يناسب نظرى ، وبتصويب النظارة الى الشبح المذكور تبينت لى حقيقة مزعجة نوعا ، انه شبح لرجل لا سيدة ، وأن فى يده منظارا مكبرا ينظر به هو الآخر الى .

لست أدرى لماذا تكثر النظارات المكبرة فى المصايف بهذه الصورة المفزعة . الا يشبع الناس من البحلقة طول النهار على البلاج ؟

الاثنين مساء : هو اليوم الرابع من أيام ممارستى للحياة ، وفيه انطلقت بالفورد اه (ونبيتى كمان) الى ملهى ليلى سمعت انهم فيه يرقصون التويست بشدة . حقا اننى فى القـاهرة لا أذهب الى أى ملهى ليلى ولو أعطونى فلوسا ، لكننى الان فى الاسكندرية . اذا كان

التويست لا يهمنى فى القاهرة فهو يهمنى هنا ، فما بالك اذا كنت قد سمعت كما أسلفت – أنهم يرقصونه فى ذلك الملهى بشدة ؟

الذى سمعته – كما تبين لى – كان صحيحا . عشرات من البنات المراهقات والاولاد المراهقين (وبعضهم أولاد مراهقات) يتنطظون فى الحلبة كالمجانين ، ويتمايلون ويترنحون كأنهم فى حفلة زار ، ومنهم من يكتفى بأن يقف وهو يرتعد ويرتعش وتختلج كل عضلة من جسمه أو جسمها – كأن حرارته – أو حرارتها – أربعين وشرطتين . وعلى الموائد حول هؤلاء يجلس مئات من الناس الموقرين أمثالى ، يأكلون الجنبرى الفاسد قطعا ويشربون الويسكى المغشوش غالبا ، وبينما يمضغون يحملقون بصورة هستيرية فى أولئك المرتعشين والمرتعشات اللواتى هن أيضا – اشمعنى هن لا ؟ – بالبنطلونات .

فما هى الا دقائق حتى وجدتنى أتثاءب وأنهض وقد ضقت بالامر كله . عمرى ما كنت – فى أى وقت – من الناس الذين يطيقـون منظر الاشياء التقليد .

الثلاثاء صباحا : بينما أنا أتساءل كيف سأمارس حياتى هذا الصباح اذ دخل على ولدى البالغ من العمر خمس سنوات .

–هى اسكندرية فيها دكتور يا بابا ؟ سألنى .

– ليه سألته أنا .

– أصلى بلعت قرش .

فلم أعلق على هذ القول من فورى ، اذ عادت بى الذاكرة الى الاشياء التى سبق له ابتلاعها من قبل ، الزلطة التى كلفتنى استخراجها خمسة جنيهـات ، والبندقة – أو اللوزة لا أذكر – التى ابتلعهـا بقشرها

– بتتكلم جد ؟ سألته .

– آه والنبى أجابنى .

وشهد أخوه الاكبر بصحة الواقعة ، بأنه راه بعينه وهو يضـع القرش فى فمه توطئة لان يبلعه .

– أنا ح أموت يا بابا ؟ سألنى الولد .

– مش ضرورى ، أجبته مطمئنا ، فيه احتمال أن القرش ينزل .

ـ يعنى موش ح أموت ؟

يمكن كدة ويمكن كدة ، انت وبختك ·

فبدأ عليه مزيج من الاطمئنان والريبة وسكت عن الكلام حينا ـ وهذا أمر يحدث نادرا ·

وتذكرت فزعى فى المرات الابتلاعيـة السابقة فضحكت من نفسى وضحكت من نظرة الفزع التى تتراءى الان فى عين زوجتى أم الولد ·

ـ نعمل ايه دلوقتى ؟ سألتنى حائرة ·

ـ ولا حاجة ، نجيب له حصالة بدل ما يحوش فى بطنه ·

نعم ليس عدلا أن يأكل الولد مصروفه الخاص فأذهب به الى الطبيب الذى يأكل مصروفى أنا ·

الناس والنقود

احيانا يخيل الى اننى اعيش فى اتوبيس مزدحم ومسرع وكل رجل فيه ينشل الرجل الذى بجانبـه وهـكذا دواليك طول الوقت ، النقود تنتقل من جيب الى جيب ، والثروة لا تزيد أبدا !



برود

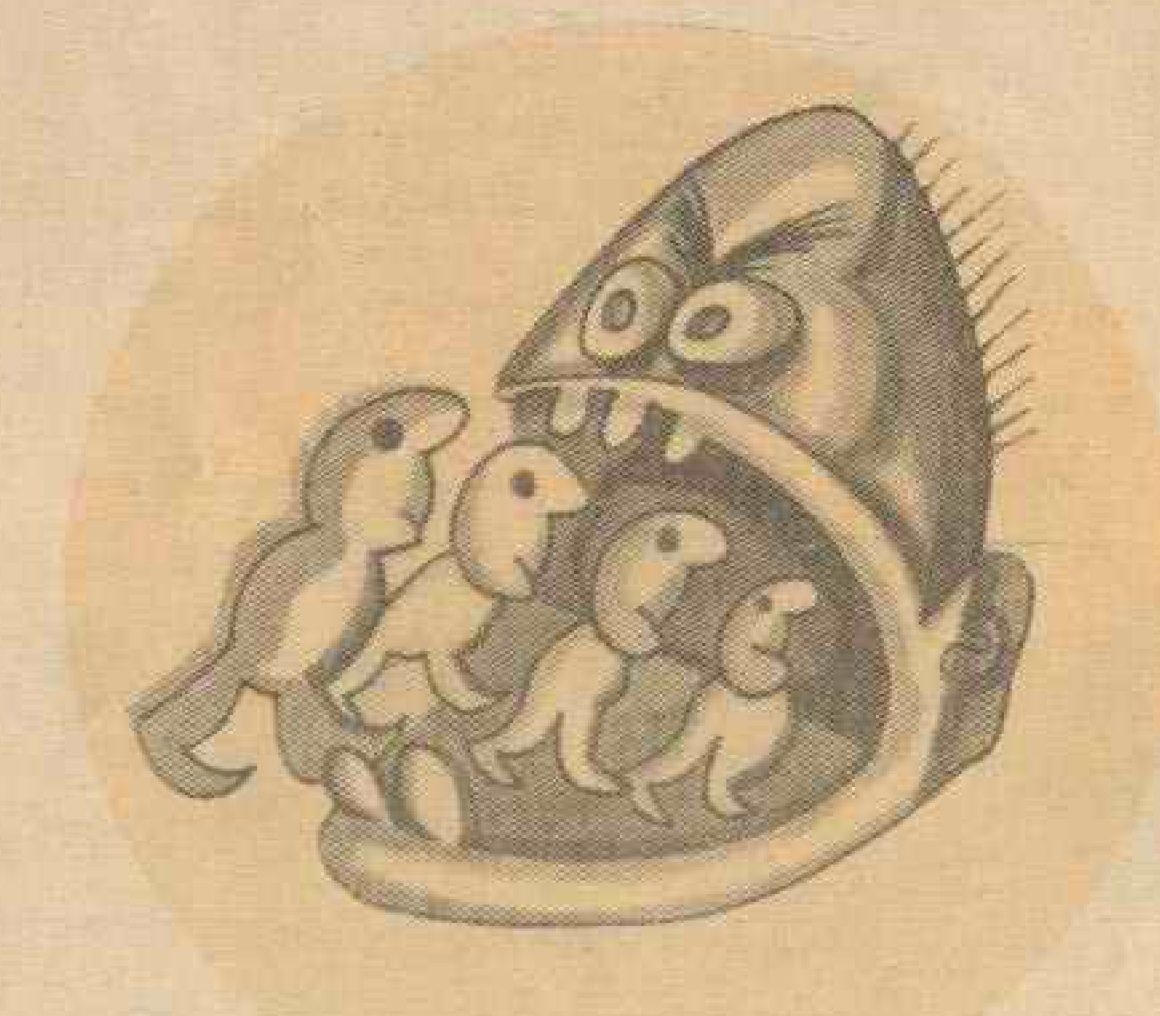
يقول صديق لنا انه لم يعرف قيمة زوجته الا خلال تلك الموجة الحارة ، اذ يضمها اليه فكانه يضم لوحا من الثلج !



آخر تجميل

اذهبى يا سيدتى الى معهدالتجميل الفلانى ، فهو يضمن لك الالاف المؤلفة من نظرات الاعجاب بامراة اخرى !

حياة بشعة



قديما قال شوبنهور ان الحياة شر ،لانها قتال متواصل بين الانواع المختلفة التي يحاول كل منها ان ينتزع من الآخر ما يملكه من مادة ومكان وزمان . وضرب مثــلا بنملة استرالية من طبعها ان تنقسم نصفين ،وسرعان ما تبدأ المعركة بين الراس والذنب ، واحد منهما يعض الآخر وهذا يلدغه ، فى معركة طويلة تنتهى فى اغلب الاحيان بالموت .

وضرب مثلا آخر بسهل فى جاوة تغطية هياكل الموتى الى آخر البصر ، هياكل السلاحف الضخمة التى خرجت من البحر لتضع بيضها فهاجمتها الكلاب الوحشية وقلبتهـــا على ظهورها لتنتزع القشرة الضعيفة التى بطنها وتلتهما حية .

ولاضرب أنا مثلا بالبحر الازرق الجميل الذى قد يبهجك سطحه الهادىء الوديع ، وفى أعماقه تدور أبشـع المعـارك التى تنتهى بالتهـام كبار الكائنات البحرية لصـــغارها . وأحيانا يكون التهاما بالجمـــلة لا بالقطاعى ، كما هو الحـــال فى الحوت العظيم الذى ما عليه لكى يتغذى ســوى أن يفتح فمــه الخرافى لتندفع فيه الاف الكائنات من أسماك صغيرة وقشريات وجنبرى . والحوت المظيم نفسه يتعرض لمخاطر كثيرة قد تنتهى بموته على يد صياد من البشر ، أو بالتهامه بمعرفة واحد من أعدائه . على سبيل المثال أضخم أنواع الحيتان وهو الحوت الازرق ، الذى قد يزيد طوله على ثلاثين مترا ، فى حين يبلغ وزنه ما يعادل ثلاثين فيلا ! فلهذا الحوت الهائل عدو يدعى بالحوت القاتل ، حجمه أصغر منه بكثير ولكنه من أكثر الكائنات قســوة وشراسة . وهو يتقدم فى قطعان تهاجم الحوت الازرق ، اثنان من القطيع ينشبان انيابهما فى فكه الاسفل ، وباقى القطيع ينهال على جسمه ضربا بذيوله القوية ، فلا يبرح الحوت وقد أزهقه الامر أن يضطر الى أن يفتح فمه ويترك فكه يتدلى ، وعند ذلك يسارع الجميع الى لسانه الضخم فينزلون عليه تمزيقا والتهاما ، وذلك كنوع من من مسح الزور قبل أن يلتهموا الحوت نفسه .

ولو اننا حاولنا الاحاطة بكل ألوان الفظائع فى الحياة الحيوانية لاحتجنا الى مجلد كامل ، فحسبنا تلك القشعريرة الصغيرة ونحن نتخيل شعور العصفور بين أنياب القط ، أو شـعور الخنزير الصغير وهو يغيب – غير ممضوغ – فى جوف الثعبان الضخم ، أو شـعور مئات النمل وهى تعلق باللســـان اللزج الطويل للحيوان المسمى بآكل النمل .

فمهما حاولت فلن يمكنك أن تكذب الاخ شوبنهور في قوله أن الحياة شر ، وان كنت لا تستطيع بالطبع أن تقول عن تلك الحيوانات أنها



شريرة . فما ذنبها اذا كانت الحياة قد خصصتها لاكل اللحوم ، وانها
أما أن تلتهم الآخرين أو تموت جوعا ! وحتى الكائنات غير المتخصصة
فى اكل اللحم قد زودتها الحياة هى الاخرى بميل خاص للبروتين
الحى . كالعصفور الذى يمكنه أن يعيش على الحبوب ولكنه يفضل
أن يلتهم الدودة الطرية أو الفراشة الملظلظة . كذلك الحال مع
الانسان نفسه . الذى بالرغم من استطاعته أن يكون نباتيا فهو لا
يبرح يتفنن فى تربية الماشية والطيور وفى تحسين سلالاتها لكى
تكون أسمن وأطعم . وكان حسب شوبنهور أن يتذكر قطعة البفتيك
الدسمة التى لا بد أنه قد التهمها على العشاء لكى تسند قلبه قبل
سهرته الفلسفية المتشائمة !

زوجات مفترسات

كل تلك المجازر السالفة لا يمكن أن تدين أصحابها بالسفالة وفقا
للمفهوم البشرى ، فهكذا حكمت الحياة عليهم بان ياكلوا غيرهم لكيلا
يموتوا هم جوعا . وانما يبدأ عنصر السفالة فى الظهور اذا انتقلنا
الى عالم الحشرات ، واذا نظرنا الى تلك الحشرة السافلة بكل معنى
السفالة الانثى التى تراود الذكر عن نفسه تمهيدا من ناحيتها
لالتهامه وامتى ! .. أثناء ممارسته للحب معها !

واليك بعض الامثلة التى الخصها لك من كتاب زوجات مفترسات
للدكتور عبد المحسن صالح ، شاكرا للدكتور على ما قدمه لى فى هذا
الكتاب من معلومات قيمة ومسلية وان كانت مفرقة فى الوقت نفسه
أو انه وفقا لاسلوبه لاقرب الى أن يكون كتابا فلسفيا لامجرد تجميع
المعلومات .

أولى تلك الزوجات هى فرس النبى ، تلك الحشرة التى خدعت
الناس بحركاتها الخاشعة التى توحى بأنها تصلى ، ولو انهم عرفوا
حقيقة أمرها ليسموها فرس الشيطان لا فرس النبى اذ تقف اللعينة
الخضراء فى انتظار العريس الذى لا يبرح ان يظهر ويقترب منها ،
تتامله فى صمت يوحى اليه بأنه قد حرك قلبها فى حين انه ما صنع
شيئا سوى أن أسال لعابها ! تسلمه نفسها ويتمكن من الموقف

فوقها ، فسرعان ما تدير نحوه بوزها الجهنمى وتبدأ فى مداعبة رقبته
يظن التعس انها ترمى الى المداعبة فى حين انها تستعد لتناول العشاء
بأسنانها تعض رقبته برفق أول الامر ، باحثة بغريزتها عن غدة
خاصة تعرف انها كائنة برقاب الذكور ، غدة وظيفتها تهبيط الحافز
الجنسى فى غير وقت اللزوم . أما الان وفى هذا الموقف أفليس من
الانسب للسيدة أن تزول تلك الغدة لكى تثور فى الذكر الولهان كل
قدراته الجنسية .

هى تبدأ بالتهام تلك الغدة دون أن يبدى الذكر اى اعتراض ، ولا
حتى يعترض حين تشرع فى التهام رقبته كلها حتى ينفصل رأسه
عن جسمه ! ومن عجب ان هذا الحدث لا يحول دون مواصلة العريس
لاداء واجبه ولمدة ساعات طويلة . وذلك لان الجهاز العصبى فى تلك
الكائنات ليس مركزيا كما هو الحال عندنا ، ولكل عقلة من جسم
العريس مركزعصبى خاص يمكنها من العمل فى غير حاجة الى الرأس
الذى انقطع . انما يموت العريس التعس عندما تصل العروس
المنحطة فى دناوتها الى فتح بطنه والتهام ما فيها ، فتتركه يسقط على
الارض وتواصل التهام ما تبقى من الاحشاء والاعضاء الصالحة للاكل .

ولعله يهمك أن تعرف أن هذا يحدث على الدوام بالرغم من توافر
الطعام حول العروس السافلة ، كأنها تستكثر الحياة على زوجها وقد
قضت منه وطرها . او لعلها لا تحب الرمرمة وتفضل أن يتغذى
أولادها على لحم أبيهم لكى يكون زيتنا كما يقال فى دقيقنا !

ومثلها فى السفالة الخنفساء التى وأن أمهلت عريسها بضعة
أسابيع فما ذلك الا لكى تتأكد من تمام اخصابها ، وفى النهاية
تلتهمه مثلما التهمت الفرس الوضيعة زوجها . وهذه لا تحب فى
العريس الا أحشاءه الطرية ، فتشق فى بطنه شقا طويلا ثم تبدأ فى
امتصاص محتوياته ، لا تترك منه شيئا سوى هيكله الخارجى الذى
قد يوهمك منظره بأن خنفس حقيقى وما هو فى الواقع الا خنفس
مفرغ !

ونفس الشيء تفعله أنثى العنكبوت وأنثى العقرب ، وأنثى صرصار

الحقل ، فى سلسلة من البشـــاعة الحشرية التى يقف لها شعر الرأس · شر وسفالة لا مثيل لهما فى تلك الـكائنات التى ظهرت على الارض منذ أكثر من مائتى مليون سنة ، ممثلة بذلك كل ما فى الحياة الخام من قوة وعناء ونفعية مطلقة ولا أخلاقيات مثالية توشك أن تبلغ حد الـكمال !

ودارت عجلة التطور عبر ملايين السنين حتى ظهر كائن حى يمكنه التمييز بين الخير والشر وهو الانســـان · وصحيح أن أنثى البشر لا تأكل زوجها مكتفية بأن تعكنن حياته وتخرب بيته ، ولكن تلك القدرة على التمييز بين الخير والشر لا يبدو أنها قد نفعت الجنس البشرى كثيرا · واذا كانت كافة الحيوانات تقتل لتأكل فقد أثبتت الحروب التى أثارتها ولا تزال تثيرها أغنى الدول ان الانسان على عكس تلك الحيوانات ـ هو الكائن الوحيد الذى يأكل ليقتل !

البطة الهاربة

بطة برية زاهية الالوان ، ضايقها البرد حيث جلست فى اوربا فبسطت جناحيها المزركشين وطارت الى مصر تلتمس الدفء · ولكن اقامتها فى مصر لم تطل ، وما هى الا أيام حتى عادت الى موطنها · سالوها عن السبب فى عودتها فقالـت:

ـ هى اعصابى بقت تحتمل اى موقف ؟!

* * *

استنتاج

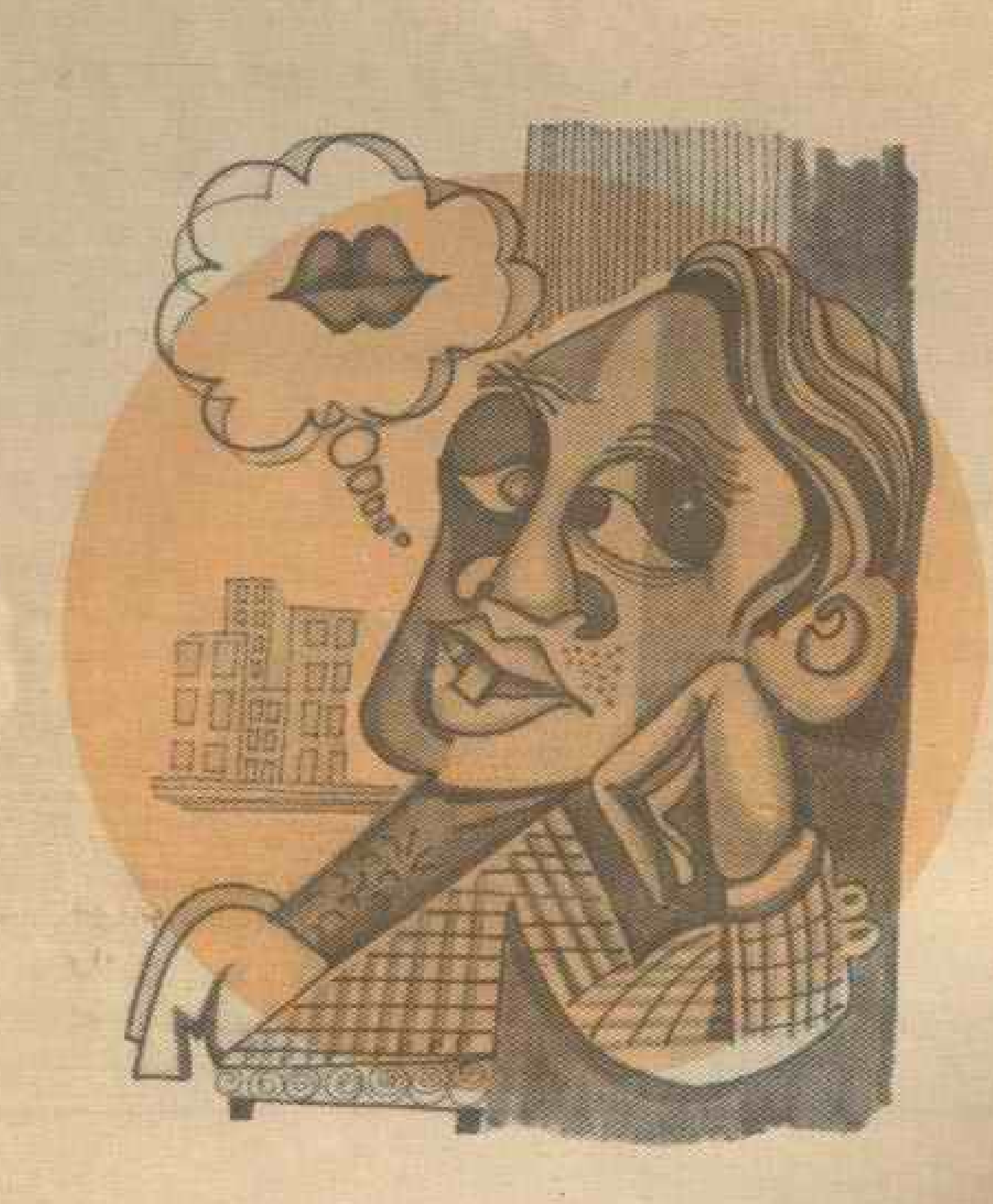
هو نوع من الاستنتاج الخاطىء طبعا ، ان ترانى اشترى فوطة صفراء فستستنتج من ذلك اننى قد قررت ان اشتغل سائق تاكسى!

* * *

اهتمامات المرأة

حاول ان تستبعد الاهتمامات الصغيرة والتافهة من حياة المرأة المصرية العادية ، تجد انك قد استبعدت المرأة نفسها !





بعض الناس يحبون الشتاء ولست واحدا منهم . انا احب الصيف لاننى احب الشمس واحب الشمس لاننى احب الدفء ، واحب الدفء بشرط ان يكون فى النور .

حقا

ان المدفأة الكهربائية تدفئنى ، والنجفة تضىء لى الحجرة ، ولكن ايش جاب لجاب ؟ جميع المدافىء والنجف لا يمكن أن تضاهى شعاعا واحدا من الشمس ، خصوصا أن السماء أكرم بكثير من ادارة الكهرباء ، لا أذكر قط انها أرسلت لى فاتورة بثمن ما استهلكت من أشعة الشمس .

غيوم داكنة كريهة تحجب عنى نور الشمس ودفاها ، والغيوم كما أعلم مكونة من بخار ماء .

فاقول لنفسى الله يكسفك يا انسان العصر العشرين ! أليس من السخف أن تحطم الذرة وتسرى فى الفضاء الى القمر ، ثم تسمح لشوية بخار ماء بأن تعمد الى هذا العبث تحت الشمس التى تحبها ؟ ثم تزداد برودة البخار فيتحول الى ماء ينهمر على دماغى ، يغرق ثيابى وكتبى ويبهدلنى ، كأننى ذبابة عاجزة من الذباب الذى أرشه بالفليت . أليس هذا مخجلا حقا . هذا الدش الاجبارى الذى يأخذه بالهدوم رجل مثقف مثلى ، والذى كثيرا ما تسبب فى اصابتى بالزكام ؟

فاذا ما زكمت فاننى أروح أعطس وأعطس ، ومن غير مؤاخذة أنف يقابلنى الناس فيديرون وجوههم بعيدا عنى ، وأمد لهم يدى للمصافحة فيتجاهلونها مكتفين بهزة رأس . فأعيش أياما حبيس بيتى لكى أعطس وحدى ، ومن وراء زجاج النافذة المغلق أرقب السماء المكفهرة وأريد أن أبكى . فقد نسيت أن أخبرك اننى لا احب الدفء والنور فحسب ، وانما أحب الهواء الطلق أيضا . وأين لى بالهواء الطلق فى حجرة مقفلة معبأة بدخان السجائر وبأفواج الجراثيم التى أعطسها ؟؟

أما يدى فهى طول الشتاء قطعة ثلج ، كأنها فرخة أمريكية فى ثلاجة مدير جمعية تعاونية . ولذلك أضعها فى جيب البنطلون طول الوقت ، يدى لا الفرخة ، واترك السيجارة متدلية وحدها من فمى . فيدخل الدخان فى أنفى يكاد يخنقنى ، ويدخل فى عينى يكاد يعمينى . ما صافحت رجلا قط الا وصاح قائلا ياه . مال ايدك ساقعة كده ؟ والنساء بالطبع أكثر نفورا من برودة يدى ، أعنى بسبب حساسيتهن الزائدة . ولذا أعيش طول الشتاء وأنا عدو المرأة .

وليس أبرد من يدى فى الشتاء الا قدمى ، وهو السبب فى اننى لا أخلع الشراب أبدا ، مع تغييره بالطبع بين الفينة والفينة . تقول لى



زوجتى ـ وقبلها قالت لى أمى وخالتى ـ أن النوم بالشراب يؤذى البصر ولكننى لا أكترث ، عسير على أن أجد علاقة مفهومة بين عضو فى أقصى الشمال هو عينى وآخر فى أقصى الجنوب هو قدمى · وحتى اذا صح كلامهن فاننى أفضل أن توجعنى عينى على أن أموت من البرد لاشك أن حيا أعمى خير من ميت ستة على ستة · وعلى أى حال فلست أذكر أن عينى وجعتنى الا مرة واحدة ، وكان ذلك فى الصيف وأنا بغير شراب · فأغلب الظن أن كلام أولئك النسوة لا أساس له من الصحة · تماما كالكلام الذى قلته لى عن العفريت الذى يطلع للرجل اذا أطال التطلع فى المرآة ليلا ·

طول عمرى أطيل التطلع فى المرآة ليلا ، وفى حياتى كلها لم يطلع لى أى عفريت ، راجيا ألا تقول ان الذى أراه فى المرآة هو العفريت لانها موش أد كدة ·

وما دمنا نتكلم عن النساء فلا شك فى أنهن من الاسباب الرئيسية التى تبغض الشتاء الى ، لا لمجرد أنهن ينفرن من برودة يدى وانما لاننى لا أراهن طوال الشتاء أصلا · فى الصيف أرى المرأة كاملة وعلى بعضها ، فى ثيابها الخفيفة أراها بوضوح مريح لمزاجى المحب للنور والهواء الطلق · أراها كما يقولون من رأسها الى أخمصها ، مع التشديد نوعا على اخمصها وان كنت لا أعرف ما هو بالضبط · ذروة الوضوح تتحقق بالطبع على بلاج المنتزه والمعمورة حيث المايوه البكينى · لكننى لست متزمتا · تكفينى نسبة الوضوح المتوفرة فى شوارع الصيف ، تكفينى جدا · أما فى الشتاء فلا أستطيع أن أهضم المرأة أبدا ، هى فى هذا الفصل كالوطواط سواء بسواء ، اذا كنت تعرف حكاية البيات الشتوى · فستان صوف تقيل وفوقه بالطو ، وياقة البالطو مرفوعة لتخفى العنق ، وايشارب أو قبعة تخفى الشعر والاذنين · لاشىء يبدو من المرآة الا عينان تلتمعان كعينى فأر يطل من جحره المظلم · تتكلم فينبعث من فمها بخار أبيض ، بصوت متهدج من الرعدة تتكلم ، وطول الوقت تنظر فى خوف الى يدى التى تعرف كم هى باردة ·

وليل الشتاء ـ عليه اللعنة ـ يردنى الى طفولتى بشكل يزعجنى جدا ، بشعرى الشائب أندس تحت اللحاف وأنا أرتعد ، أتلوى تحته حينا ثم أتكور على نفسى مثل طفل خائف ، طفل شائب يختفى عن الانظار تحت اللحاف · فاذا أدخلت أنفى تحت اللحاف أحسست بأننى سأختنق ، واذا أخرجتها أحسست أننى سأنزكم · فلا أجد طريقة سوى أن أعدل أنفى بحيث تكون طاقة منها تحت اللحاف وطاقة فوقه ، بنتيجة محتومة هى أن أختنق وأنزكم فى الوقت نفسه · واللحاف نفسه يكون دائما أبرد منى ، عنده فيما يبدو شعور بأننى نمت تحته لكى أدفئه لا لكى يدفئنى · ولذلك أعمد الى وضع بطانية ثقيلة تحته ، تلك البطانية التى اما أن تكون رخيصة خشنة تشوكنى ، واما غالية ناعمة ليست عندى · وهى فى جميع الحالات لا تلبث أن تنزلق وتتكدس عند قدمى ، أحلم بأن نصفى الاسفل فى البوتاجاز ونصفى الاعلى فى الفريزر · وهذا أرحم من أحلامى الشتوية الاخرى ، اذ أرى أننى أتزحلق ، توطئة لانكسار رقبتى على قمة ايفرست ، أو أننى حيوان رنة يجر زحافته ، أو أننى دب أبيض تائه فى القطب الشمالى ، أو أننى نابليون فى روسيا أجرى وراء قبعتى السوداء التى طيرتها عاصفة ثلج ·

فلو كنت أتغذى فى الشتاء جيدا لربما أمكننى أن أتحمل البرد أحسن من ذلك ، لكن ماذا آكل بالله عليك ؟ نعم هناك البسلة وهى لذيذة بغير شك ، ولكن هل يستطيع الرجل أن يأكل بسلة كل يوم ؟ وهناك القرنبيط وهو ينفخنى كالبالون ، تماما كما يفعل الكرنب · والسبانخ ملىء بالحديد ولكن من الذى يحتاج الى الحديد ؟ والخبيزة لا بأس بها من ناحية الطعم ولكن لها ارتباطات ذهنية لا أرتاح اليها · ومصيبة هذه الاطعمة أنها تحتاج الى الكثير من القوطة ، والقوطة فى الشتاء تصل الى عشرة صاغ · أعيش طول الشتاء على البسلة والبطاطس البيوريه ، وتريد منى ألا أبرد !·

والفواكه العن ، لا يوجد عند الفاكهانى سوى البرتقال واليوسفى ، وآلاف من الكرات الصفراء المكدسة فى بلاهة . لا أذكر قط أننى قطعت برتقالة سكرى الا وطلعت بلدى حادقة . أو قطعت برتقالة بلدى الا وطلعت سكرى . وهى دائما باردة توجع الاسنان ، نصفها أبتلعه والنصف الاخر ينحشر بين أسنانى أما اليوسفى فانا أرفض أن أدخله بيتى ، علمتنى التجربة أنه يجلب الكثير من المشاكل ، وكل ولد يمسك قشرة منه ويفعصها مصوبا رشاشها الى عين أخيه وهات يا خناق . فأين هذه الفواكه التعسة من عنب الصيف وبطيخه . وشمامه وتينه ومنجته وبلحه الامهات ؟

كلا ، لا أظن أنه فى استطاعتى أن أحب الشتاء أبدا . فلا تتعب نفسك فى محاولة اقناعى ، هـه ؟ ومعذرة لاننى بردت وأريد أن أضع يدى فى جيب البنطلون .

بعض العقول

لو انك محوت كل ما فى عقول بعض الناس من خرافات واوهام ، لعادت عقولهم ـ مثل عقل طفل صغير ـ بيضاء بغير سوء !

★ ★ ★

تراب

شىء طبيعى ان الفن الردىء يخلق الذوق الردىء ، وهو مالايمنعنا من ان نتساءل : هل كان الفن الردىء ليوجد لولا وجود الذوق الردىء ؟!

محتويات الكتاب

سكرتير التحرير التنفيذى الفنان : محمد عفت

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٤٢٤٩ / ٧٧

الرقم الدولى ISBN ٩٧٧ ـ ٧٠٤١ ـ ٥٤ ـ ٣